14 me Année No. 690

Lundi—23—9—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٩٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٧ شوال سنة ١٣٦٥ — ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

أجل يا صديقى ، ضغط الدم !

أجاوبك يا صديقى عباس على بُعد صفحات فى الرسالة[١] ، كما تتجاوب حمامتان كسيرتان على بُعد شجرات فى الحديقة .

أنا أيضاً ضحية هذا القياس الحديث لضغط الدم ! كنت من قبلُ أحمد الله على دوام الصحة ، وأغبط نفسى على فراغ البال ؛ فإذا مسنى الضر لسبب من أسبابه المألوفة ، احتملته راضياً لأنه التغير الذى يدفع من سأم العيش ، والتنوع الذى يزيد فى جمال العافية . فلما كتب الأطباء عن ضغط الدم وأعراضه ، وتحدث الناس عن آثاره وأمراضه ، تلمست شواهده فى جسدى ، فإذا صوت يشبه (الوشّ) فى رأسى ، وحركة تشبه الاختلاج فى صدرى ، فزرت الطبيب المختص ؛ فظل وقتين طويلين فى يومين متعاقبين ، يجس بيده ، ويقيس بمقياسه ، ويصور بآلته ، ويدون فى مذكرته ، وأنا فى كل ساعة من ساعات هذين اليومين أذوب ولا أثوب ، وأنظر ولا أرى ، وأسمع ولا أعى ، وأتوهم ولا أفهم ، حتى قرر الدكتور أن أعضائى الرئيسية صحيحة ، ولكن عندى ارتفاعاً فى الضغط يَخشى إذا أهملتُه أن يصبح خطراً لا حيلة فيه . ثم نظَّم لى الغذاء ووصف الدواء ونصح لى أن أزوره الحين بعد الحين .

وهكذا خرجت يا صديقى من عيادة النطاسى الكبير وأنا نوع آخر من الخَلق ، فيه الروح وليس فيه الحياة ، وعنده الهم وليس عنده الأمل ! أصبحت منذ ذلك اليوم كريض (موليير) ، أتوهم أن فى كل أكلة أو حركة أو فكرة ضغطاً على الضغط يشده ويوتّره ، وأتخيل أنى (كبالون) الأطفال المنفوخ أخف صدمة تفجرُه وتدمره . فأنا آخذ نفسى أخذاً شديداً بالجوع والظمأ والحرمان والتبلد والركود ، فلا أطعم ما أشتهى ، ولا أنعم بما ألذّ ، ولا أنفعل لسرور ولا حزن ، ولا أشتغل بفعل ولا فكر ، ثم أُهرَع كل أسبوع إلى المقياس المَخُوف فأجده ثابتاً على رقم الخطر لا ينخفض ولا يتذبذب ! فأسأل عن علة ثبوته على قلة قوته ، فأعلم أن أشد ما يغذى الضغط ويقويه ، إنما هو الاكتراث له والتفكير فيه . وهل يستطيع المحكوم عليه ألا ينظر إلى السيف وهو مُصْلَتٌ فوق رأسه ، أو عليل المسموم ألا يفكر فى الموت وهو يتغلغل فى طوايا نفسه ؟

الحق يا صديقى أن العيش على هذه الحال جحيم ، وأن الله الذى أخفى الأجل عن عباده رءوف رحيم ، فلو كان للأجل مقياس كمقياس الضغط لجعل حياة الإنسان همًّا دائماً يُمر حلاوة الدنيا ، ويُذوى خضرة الأمل ، ويزهق روح السعى ، ويذهب جمال الوجود .

فليت الأطباء يخفون هذا الداء ما داموا لا يملكون له السلامة ، ويدَعوننا نفعل به فعل الآباء نكفكف غلواءه بالفصد والحجامة !

احمد حسن الزيات

(١) اقرأ مقاله (أنا وضغط الدم) فى هذا العدد ص ١٠٥١

« نعم » أومن بالإنسان !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

هل يستطيع صديقى الأستاذ الطنطاوى أن يحصر الجدل فى هذه الصخرة الراكزة التى يخيل إلىّ أنى وضعت عليها الفلسفة الإثباتية واليقين الدينى، وقيمة العلم والحضارة حين اهتديت إلى ما زعمته القضية الفكرية الأولى. وهى الملخصة فى هذه الجملة:

« أومن بالإنسان لأومن بالكون ورب الكون، فلن يؤمن الفرد الإنسانى بهما إن لم يؤمن أولا بنوعه، لأن عقل النوع هو المنظار الذى ندركهما به، فإن أهدرنا قيمة الإنسان أهدرنا عقله وروحه، فلا يبقى لنا ما ندرك به كوننا وربنا ! ! »

ولو وقف صديقى أمام هذه القضية التى هى كما قلت « أشبه ما تكون بمعادلة رياضية » لعرف أى نظرة جديدة إلى الكون تتراءى من خلال هذه الفكرة، وأى أفق رحيب يتفتح للنفس البشرية من ورائها، وأى توفيق لطريق حل مشكلات العيش والفكر يتراءى منها !

وقد زعمت أنى اهتديت إلى القضية الفكرية والدينية الأولى حين أقرر هذه القضية، فإن لم أكن سبقت إلى الاهتداء إليها، فهذا الزعم صحيح، ونعم هو من توفيق يحمد الله عليه أجل الحمد.

وقد قلت فى مقدمة الكتاب: « وأكاد أرى أن الموقف الفكرى فى هذه القضية يسبق موقف (ديكارت) حين أثبت « وجود الذات المفكرة »، واتخذه أساساً بنى عليه فلسفته الإثباتية؛ إذ أنه من أين لديكارت أن يثبت أن لتلك الذات قيمة واعتباراً، وأن لما ينتج منها من الفكر قيمة واعتباراً إن لم يثبتهما أولا للنوع الذى تنتسب إليه هذه الذات، ليكون لما يصدر عن أفراد ذلك النوع تلك القيمة وذلك الاعتبار ؟

فالموقف الطبيعى الأول هو أن نرصد أولا هذا النوع الإنسانى كله بعين غريبة عنه، مفارقة وجوده، لنثبت له مكانته الخاصة فى الكون، وخصوصاً بعد أن وصل فكره وجهده أخيراً إلى أن يكون عاملا عظيما من عوامل الحكم والتكوين والتخريب فى الطبيعة، ثم تأتى بعد ذلك جميع مواقف الإثبات واليقين ».

والطفل فى نشأته الأولى يدرك الكون والناس إدراكا فكرياً قبل إدراك نفسه وأعماقها، فينبغى مسايرةً للنشأة الطبيعية أن لا نحاول إثبات « الذات المفكرة » كما فعل ديكارت إلا بعد أن نثبت « النوع » الذى نراه وندركه قبل أن نراها، بل نحن لا نستطيع أن ندركها إلا فى مرآة النوع ومواريثه. والفرد من غير النوع لا يستطيع أن يدرك شيئاً من مواريث جنسه: ويكون كذلك « الإنسان النزال »، أو « الإنسان القرد »، أو « الإنسان الذئب »، الذى يتحدث عنه الناس !

هذه هى القضية فى سمائها العالية، وهى تحتاج إلى جناح قوى للتحليق وراءها، وتحتاج — كما قلت — إلى نظرة المفارق لنفسه ونوعه، الخارج بالفكر والخيال عن حدود وجوده، الراصد لنوعه رصد الملأ الأعلى ممن هم فوق الإنسان والملأ الأدنى مما هن دونه ! !

***

ولم يدر صديقى الطنطاوى أن أولى الناس بالفرح والتأييد لهذه القضية هم أمثاله من الدينيين الذين تهفو حياة قلوبهم إلى الإثبات واليقين، ويرون الكون لا معنى له إن لم يكن قائماً على قيم ثابتة تعتمد على منطق الطبع ومنطق العقل ومنطق العمل.

والقضية مسوقة للرد أولا على الماديين الذين لا يعترفون بقيم ثابتة للوجود، و (الدرونيين) الذين يقررون أن الإنسان ما هو إلا قرد نهض على قدميه وثرثر بلسانه وفرح بما ثرثر، وخلق لنفسه آلهة، ووضع مقاييس وموازين لخيره وشره، وزعم أنها موضوعة من « عقل » الكون، ويقررون أن عقل الإنسان ودينه وعلمه، إنما هى كالإفرازات المادية للكبد والمعدة وغدد السموم فى العقارب والحيات، وأن ما يزعمه من قيم للأمور، إنما هى أعاليل يعلل بها نفسه ليخدعها، وليس بينه وبين « عقل » الوجود — إن اعترفوا به — صلة، وإنما بينهما هوة لا يستطاع عبورها، وأن موازين « الخير » والشر عنده مسائل اعتبارية، وليس هناك وحى ولا نبوة، وأن ما بين الناس لا يزيد على ما بين النحل والنمل والبقر والبراغيث والبعوض — كما قال ذلك فى الرد

عليّ في هذه المجلة صديقي الأستاذ زكي نجيب محمود في سنة ١٩٤١ — وأن حياة أفراد الإنسانية إلى عدم لا رجعة بعده ، كحياة مليارات أوراق النبات وأهراء الحبوب ، وملايين الحشرات تأتى بها دورات وتذهب دورات أبدية من غير رجعة إلى مصير أ كمل — كما قال ذلك كاتب متدين صوفي باحث كتب إلى من بيروت يطرح أمامي هموماً ذهنية وشكوكا لحقته —

أفتراني يا صديقي حينما أفتش في رحاب الكون والنفس عن فكرة جديدة أقذف بها على باطل القوم ، أنتزعها من قوى الإنسان الفكرية والابتداعية النامية المنمّية التي جعلت الإنسان في مصاف آلهة القدماء في التكوين والتخريب والتسخير لقوى عظيمة جبارة هائلة كالكهرباء والقوى الذرية والمواد العمياء وتقريب الأبعاد وكشف المستورات في خبايا الكون والتغلب على كثير من الآفات ... أفتراني حينما أفعل ذلك أكون قد خالفت رأي القرآن في الإنسان ؟ !

إن الماديين يهدرون الإنسانية كلها وما أتى عن طريقها من دين وعلم ووحي أنزل على محمد وسابقيه من الرسل ، فليس القرآن بشيء في ميزانهم ، وليس محمد وجميع الرسل في رأيهم سوى أفراد من تلك الإنسانية الفردية التي تلغو وتزعم أن للغوها قيمة .

أفتساق الحجة لأمثال هؤلاء من القرآن أو التوراة أو الإنجيل وهم لا يعترفون بها ولا بمن نزلت عليهم ولا بالنوع الذي ينتسب إليه من نزلت عليهم ؟ أم الأولى أن تساق الحجة إلى هؤلاء من رحاب الفكر والكون الواسعة بمنطق هذا الزمان ما دامت آيات الله في الآفاق والأنفس دائماً تسعف الذين يخلصون لله ويخلصون الفكر في الكون ؟ !

إن الفكر الديني آفته أنه يخاف غالباً اجتياز الحدود الموروثة ولو أيقن أن وراءها مصلحة محققة ، لأنه فكر يغلب عليه الاتباع لا الابتداع ، وربما يكون ذلك مقبولا ما دامت طمأنينة النفس وسكينتها موفورة ، ولكن أعتقد أن واجبه أن يأخذ الحجة حيثما وجدت ما دامت تسعف في إقناع المعارض أو إلزامه .

***

ثم إني أسأل صديقي بدوري كما سألني : كلام مَنْ يا أخي الذي يقول : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا » ، « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ؛ « قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم » ؛ « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » ؛ « والعاقبة للمتقين » ؛ « ولا أقسم بالنفس اللوّامة » أي « الضمير » ! ؟

أليس هذا كلام الله أيضاً ؟ وهل وراء سجود الملائكة لأبي هذا النوع تكريم ؟ وهل وراء اختصاصه بعلم ما لا يعلمه الملائكة من غيب السموات والأرض تفضيل ؟ وهل بعد صبر الله وحلمه على ما يبدو من ظواهر الإفساد وسفك الدماء الذي يفعله الإنسان حجة على أن الغاية من خلق هذا النوع ، إنما هي غاية تربو فوائدها وبركاتها على خسرها ولعناتها ؟

وهل بعد رد الله تعالى على الملائكة حينما قالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » بقوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » يصح أن نعترض كما اعترضوا ، ونجعل حجتنا في السخط ع... هي ما نراه من ظواهر الفساد وسفك الدماء بعد أن نظر الله ته... إليها في مجموعها نظرة اغتفار وسماح في سبيل تحقيق الغاية الكبر... من حياة هذا النوع ؟

إن أسرار قصة آدم هذه كما أوردها القرآن في أوائل سورة البقرة ، أعظم مفتاح للغز الحياة ، وأعظم تاج على رأس البشرية ، وأعظم صوت يطرد اليأس من مستقبل الإنسان ، وأعظم تفسير لما يبدو من شروره ، وأعظم دافع إلى الكفاح لتحقيق كماله المرجو !

وإني دائماً أقول : إنه يجب على المفكرين ألا يسرعوا بحكمهم النهائي على الإنسانية ، مع أنهم لم يتبينوا خاتمة حياتها ، ولم يدركوا « القطفة » الأخيرة من ثمارها ... ولعلها لا تزال في دور الشباب الطائش ، ولعل وراء طيشها كهولة عاقلة . وما دام الله تعالى لم ييأس منها — ولن تفوت عليه تعالى غاية أرادها — فينبغي لنا ألا نيأس منها كذلك ، فما دام يسمح بخروج بذور إنسانية ، فلا تزال الغايات والنتائج الصالحة منها ، بعضها يتحقق وبعضها يُنتظر تحقيقه .

وما عهدنا نوعاً ما في الطبيعة سلك غير الطريق التي رسمها له الله « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » ، فلما ذا يستثنى الإنسان

ويجعله يسير في غير طريقه التي رسمها له ؟ وبماذا يكون الاستثناء في الإنسان أثمن شيء في الأرض ؟ !

***

ولم يدر صديقي — وهو الباحث الدينى — أن الله تعالى لا يجوز عليه عقلا أن ينعى على الإنسان صفات وطبائع هو الذى قسره عليها وحدها وأخرجه في قوالبها ، وسوره من نطفة أمشاج وأخلاط من قوى ومواد عمياء حادة ليبتليه ، فليس الإنسان إذاً ملوماً ما دام قد طبع على أن يكون فقط كفوراً وهلوعاً وجزوعاً وكنوداً وعجولا وقتوراً وضعيفاً وجدلا ... الخ

وما كان القرآن — وهو كلام الله الذى كرم الإنسان الأول ودافع عنه أمام الملائكة وأمرهم بالسجود له وخصه بعلم غيب السموات والأرض وطرد إبليس من الجنة حينما استكبر عليه — ليناقض نفسه في قضية الإنسان ، ويقصد إلى ما فهمه الأستاذ وأمثاله ممن يسوقون دائماً هذه الآيات التي ذكرها هو في مقام الاعتراض عليّ .

إنما القرآن في هذه الآيات يصف طبائع الشر التي في الإنسان كما يصف طبائع الخير فيه ، ولم تفد هذه الآيات أن طبيعته مقصورة على الشر وحده ، فإذا وقع منه الشر ، فهو جدير به لأن في طبيعته جانباً للشر ، وإذا وقع منه الخير ، فهو جدير به أيضاً ، لأن في طبيعته جانباً للخير أيضاً : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » ، « وهديناه النجدين » ، « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » ، « إن ربك واسع المغفرة ، هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ، وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ، فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » .

فإذا قال القرآن : « إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين » ، فهو يقرر أن من طبع الإنسان هذه الصفات ، لأنه « خلق » عليها ، فليقاومها بما يمحوها أو يعدلها كالمداومة على الصلوات والزكاة وأمانة العهد ، وغير هذه من صفات الخير التي ذكرت وراء الآيات السابقة .

وإذا قال : «ويدعُ الإنسان بالشر دعاءه بالخير ، وكان الإنسان عجولا » . فهو يقرر كذلك أن من طبيعة الإنسان التي خلقه الله عليها العجلة : « خلق الإنسان من عجل ، سأريكم آياتي فلا تستعجلون » . ولذلك يجب التريث والصبر والسكينة وعدم اختلاس حق الأيام في إنضاج الثمار حسب قوانين الله التي وضعها

وإذا قال القرآن : « وخلق الإنسان ضعيفاً » . فهو فعلا قد خلق من شيء تافه ضعيف : « الله الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة» ، « أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة ، فإذا هو خصيم مبين » .

وهكذا سائر الآيات التي ذكرها الأستاذ تنبه إلى ما طبع عليه الإنسان من صفات الشر ليحذرها ولا يستسلم لها ، وليقاومها بطباع الخير التي طبع عليها أيضاً . ولو لم يورد القرآن تلك الطباع في معرض الذم حينما يستعرض أفعال الأشرار ، ما تنبه أكثر الناس إلى أنها طباع شر يجب الحذر من نتائج الاستسلام لها ، وكيف يتنبهون إلى أنها شر ما داموا يجدونها في طبيعتهم والقرآن وهو كتاب تربية ، ما كان له أن يغفل الحملة العنيفة على طباع الشر في الإنسان والإنحاء عليها باللوم والإزراء ، حتى ينبه الإنسان إلى خطرها في قذفه إلى أسفل سافلين ما لم يعتصم بما في طبعه من طباع الخير ، وبما يأتيه من هدى الله .

ولو ربى الأطفال جيماً حق التربية ، ولم يهملوا هذا الإهمال الشنيع الغالب الذى نراه في الأمم المتأخرة ، لرأينا أن نسبة الخير ترتفع في حياة الناس ونسبة الشر تنخفض ، كما وقع ذلك في عهد الدولة الإسلامية الأولى ، وكما يقع الآن في دول شمال أوربا كفنلندا والسويد والنرويج والدانمرك .

وهذا يدل على أن الإنسان يتغلب على ما في طبعه من الشر بالتربية وطباع الخير ، فليس الشر غالباً إلا بما يظاهره من فساد النظم الاقتصادية وإهمال التربية والتهذيب والتعليم

***

وبعد ، فهذا الفهم الذى فهمه الصديق الطنطاوى ، إنما هو من آثار السير في الحدود الموروثة وعدم تغيير طرق النظر بتغير العصور ، وأرجو أن يتحرر صديقي في فهم القرآن من جميع الموروثات حتى تنكشف له أعاجيب ووجوه جديدة من الرأى الذى يشهد للقرآن بأنه كتاب البشرية في جميع عصورها وأحوالها

علوم البلاغة في الجامعة

للأستاذ على العمارى

— ٢ —

تحدثت في المقال السابق عن الأسلوب الذي تدرس به البلاغة العربية في الجامعة ، وعبت أن يكون هذا الأسلوب العامى الركيك هو الذى يلقى على طلبتها ، وتنقصته بأنه يفسد ذوق التلاميذ ، وبأنه لا يتفق وطبيعة النصوص العربية الفصيحة ، ولا سيما كتاب الله الكريم .

وقد سمعت بعض الاعتراضات على ما كتبت ، فسمعت من يقول إن هذه محاضرات ألقيت على طلبة صغار لم يتعدوا مرحلة التعليم الثانوى إلا منذ قليل ، ولم يشدوا من علوم البلاغة إلا نتفاً يسيرة . ونسى هذا القائل أن طلبة الجامعة تلقوا في المرحلة الثانوية كتباً ذات بال في علوم البلاغة ، وفيها من النصوص العربية الفصيحة العالية ، ومن الأسلوب المهذب الطيب ، ما يهيئهم لأن يتلقوا أسلوبا أرق وأسمح ، وحسبك أن تنظر فيما يدرس في المدارس الثانوية من كتب في هذا الفن لترى أن أسلوبها أرجح وأقوى من هذا الأسلوب الذى نقلنا مقتطفات منه في المقال السابق ، وحتى لو كان الطلاب لم يتلقوا في المرحلة السابقة شيئاً يذكر لكان لزاماً على أستاذ البلاغة في الجامعة أن يكون مثلا لهم في حسن التعابير ، وجمال اختيارها ، وإذا كان لا بد من أسلوب عامى ، فليكن أسلوبا مهذبا لائقاً . وإن علماء النفس يحدثوننا عن تداعى المعانى ، وعما تلقيه الكلمات من المعانى والظلال في نفوس السامعين ، والأستاذ الخولى مؤمن بهذا ، فهل يستطيع أن يحدثنا عما تحدثه الكلمات من أمثال قوله عن محمد وجميع الأنبياء أنهم (سماة بوستة) أو قوله شارحاً قول الله عز وجل (وما أنت بمسمع من في القبور) : (أنت مش قدام ناس . انت قدام ألواح وبهايم) وماذا تنشره من ظلال ، وماذا تستجلبه من معان في نفوس تلاميذه ؟ وسمعت من يقول إنه لا بأس أن يكون هذا الأسلوب أداة التعليم في الجامعة ، والأسلوب العامى ما دام لم يكتب في كتاب وإنما يلقى في درس في حجرة فلا غبار عليه . وجوابى على هذا أنى أتكلم عن تدريس فن البلاغة في الجامعة لا عن تدريس الجغرافيا في المدارس الابتدائية ، أما الثالث فيقول : إن اللجوء إلى نقد الأساليب تهرب من نقد الآراء ، وهذا ولا شك جاهل أو متجاهل قيمة الأسلوب في تكوين أذواق المتعلمين بل وفي أخلاقهم وعاداتهم أيضاً . على أنى — بحول الله وقوته — ماض في نقد ما تضمنته مذكرات الأستاذ الخولى في علوم البلاغة من آراء في قواعدها أو فهوم في النصوص الأدبية ، ولنبدأ بمذكراته في علم البيان .

والفكرة المتسلطة عليه في هذا الفن أن يجعل لكل عبارة من عباراته منبعاً لمعان نفسية يجب أن تثيرها في نفس المتكلم أولا ، وفي نفس السامع ثانياً ، وهو لذلك يتكلف العنت ، ويركب الشطط في تخريج النصوص الأدبية . وهو لا يؤمن بالماديات الصرفة في هذا الفن ، ويكاد ينكر المحسات التى لا تثير معانى نفسية فحين يقول الشاعر مثلا :

تجهز فإما أن تزور ابن ضابىء عميراً ، وإما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

لا يرى لهذا التشبيه معنى ، لأن الشاعر لم يزد على أن فضل الفرس في البياض على الثلج دون أن يلاحظ العلاقات المنوية بين المشبه به والمشبه ؛ فنراه يقول مثلا حين يتكلم عن أغراض التشبيه « ومنها بيان حاله كما في تشبيه ثوب بآخر في السواد — الخ . هذه عبارة الخطيب القزوينى صاحب الإيضاح . فيعلق عليها الأستاذ قائلا : هذا كلام فارغ ؛ لأن الانسان حين يشبه السواد

وبعد ، فإن نوعاً يخرج محمداً وأولى العزم من الرسل والحكماء والصديقين والعلماء والرواد المجاهدين ، جدير بأن يوثق به ويؤمن بقيمته ، فإن مقياس قيم الأنواع هو لبابها وجوهرها ، وثمر الشجر أقل شىء عدداً فيه ، والشوك يكون مع الورد ، والظلام مع النور ، والفساد وسيلة لإدراك الصلاح والحفاوة به .

« ونبلوكم بالشر والخير فتنة » ، فالخير أيضاً فتنة !

هذى طباعُ الناس ممزوجةً فخالطوا العالم أو فارقوا !

عبد المنعم خلاف

يلحظ فيه الانتشار والتغطية والابهام ، أى أثراً نفسياً يقع من رؤية هذا السواد ، وعلى هذا الملحظ يشبه الليل » . لا يا مولانا ، هذا شىء وذاك شىء آخر ، نعم قد يلاحظ المشبه بالسواد المعانى التى يثيرها فى النفس ، ولكن لا بأس أن يلاحظ مشبه آخر مجرد السواد . وليس هذا بالكلام الفارغ ، وهو من أساليب العربية المقبولة ، بل وفى طبائع الناس أيضاً ، فهم لا يزالون يلحقون شيئاً بشىء فى البياض أو الحمرة أو السواد أو ما شاءوا من لون ، ولعله يلفت النظر إلى هذا التهجم الجائر على كلام العالم العلامة الخطيب القزوينى ، ومن معه من علماء البلاغة حين يقول (هذا كلام فارغ) ، ولا شك أن مثل هـذا يمحو من أذهان المتعلمين ما لهؤلاء من هيبة وجلال ، وبذلك لا ينتفعون بما كتبوا وألفوا ما داموا يحتقرونهم ويسمعون من أستاذهم هذا التنقص لهم ، والغض منهم .

وقد ذهبت به هـذه النظرة الجائرة إلى أن ينكر نوعا من التشبيه قد أطال علماء البلاغة ونقدة الأدب فى امتداحه ، يقول :

« ولا زوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوئل النار فى أطراف كبريت »

المشبه زهرة البنفسج قائمة على ساقها ، والمشبه به أوائل النار فى أطراف كبريت ، إذا أردنا أن نحلل عملية التشبيه لقلنا إنه شعر للبنفسج بجمال فترجم عنه ، ونحن نفهم أن الجميل قادر أن يلفت معنى وراء وجوده المادى ولكن الشاعر لم يتخط الوجود المادى نظر إليها على أنها زهرة لها حجمها الخاص ولونها الخاص ، وقال كلاما شرح به هذا الوضع المادى (كأوائل النار فى أطراف الكبريت) أولا : ما هو الشىء المعنوى الذى لفتت إليـه الزهرة الجميلة ؟ لا شىء . زهرة البنفسج هذه يمكن أن نحس أمامها بنوع من الانصراف عن التنبه واليقظة ، فاذا شبهتها بإنسان حالم تكون قد تذوقت للون طعما خاصاً من طعوم الحياة ؛ وبذلك تكون المـادة قد أفلحت فى إيجاد المعنى .. أما وصف اللون بلون آخر فلا شىء .. ثانياً : نلاحظ أن الشاعر نقلنا من جو فسيح إلى جو خانق فليست هنا قوة فى الإحضار ، وإنما هى غفلة وسوء تصرف »

قد يبدو هذا الكلام مقنعاً ورائعاً لأول وهلة ، ولكن يجب أن نتذكر حقيقتين :

الأولى — أنه يدرس التشبيه ؛ ومعنى ذلك أن يقف عند تشبيه الشاعر . هل أصاب أو أخطأ فى إلحاق هذا اللون بذاك . أما أن الشاعر لم يلتفت إلى ما يهيجه البنفسج من المعانى فى النفس والتفت إلى شىء مادى بحت فهـذا لا دخل له فى صحة التشبيه أو فساده .

الثانية — أن البيان يبحث عن الأساليب الفنية التى تؤدى بها المعانى ، وما دام يبحث عن الفن فهو يجده فى المعانى البحتة ويجده كذلك فى الماديات البحتة ، وليس أحدهما بأولى من الآخر فى إبراز الفن البيانى فيه ؛ وعلى ذلك فهم علماء البلاغة ما ورد من هذه الأمثلة . ولعلنا نأتى بالقول الفصل حين نسوق ما قاله إمام البلاغيين الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى هذا الموضوع بعينه: « وهكذا إذا استقريت وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب ، وكانت النفوس لها أطرب ، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب ، وذلك موضع الاستحسان ومكان الاستظراف ، والمثير للدفين من الارتياح ، والمتألف للنافر من المسرة ، أنك ترى بهـا الشيئين مثلين متباينين ، ومؤتلفين مختلفين ، ولذلك تجـد تشبيه البنفسج فى قوله : ولا زوردية ... الخ أغرب وأعجب ، وأحق بالولوع ، وأجدر من تشبيه النرجس بمداهن در حشوهن عقيق ؛ لأنه إذ ذاك مشبه لنبات غض يرف ، وأوراق رطبة ترى الماء منها يشف ، بلهب نار فى جسم مستول عليه اليبس ، وباد فيه الكلف ، ومبنى الطباع وموضوع الجبلـة على أن الشىء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صبابة النفوس به أكثر ، وكان بالشغف منها أجدر » . وليس بعد كلام الشيخ كلام ، ولكن لعل شيخ الجامعة يتهمه بفساد الذوق ، ولو أنه أعاد وأبدا ، واحتج بنظرية نفسية كان الأستاذ ينكر أن المتقدمين تنبهوا لمثلها ، والأمر أوضح من أن يشرح ، فالشاعر أراد أن يبين زرقة البنفسجة التى تفخر بها على اليواقيت الحمر ففكر فى شبيه لهذه الزرقة ، وهنا يتفاضل الشعراء فمنهم من يكون قوى اللفتة فسرعان ما يقع على شبيه ولو كان نادر الحضور فى الذهن ، ومن هنا تجىء طرافته وجدته ، ومنهم البليد الذى لا يصل إلى الشبيه إلا بعد حين وربمـا لا يصل ، وإذا كان من

الميسور لأستاذ البلاغة في الجامعة أن يتهم الشيخ عبد القاهر في ذوقه فأظن أنه ليس من الميسور أن يتهم جريراً الشاعر . فاليه نسوق القصة التالية : يحكى أن جريراً قال : أنشدني عدي (يعني ابن الرقاع العاملي) : عرف الديار توهما فاعتادها .

فلما بلغ إلى قوله: (تزجي أغن كأن ابرة روقه) رحمته وقلت قد وقع ، ما عساه يقول وهو أعرابي جلف جاف ؟ ! فلما قال : (قلم أصاب من الدواة مدادها) استحالت الرحمة حسداً . قال صاحب الإيضاح : فهل كانت الرحمة في الأولى والحسد في الثانية إلا أنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له في أول الفكر شبه ، وحين أتمه صادفه قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف .

وبعد . فهذا كلامهم وهذا كلامه ، وموعدنا المقال التالي .

علي العماري
مدرس بمعهد القاهرة

أنا وضغط الدم

للأستاذ عباس حسان خضر

قضيت ماقضيت من حياتي — قبل أن تبدأ قصتي مع ضغط الدم — بعيداً عن الأطباء ، لم ألقهم في مرض ألمَّ بي إلا مرات معدودات . وذلك لعديد من الأسباب لا أريد أن أذكر منها إلا أنني حريص على العمل بالحكمة المأثورة : « الوقاية خير من العلاج »

ومهما كانت الأسباب فقد كنت بخير إلى أن لقيت صديقي في الطريق وهو ذاهب إلى مكتب شركة من شركات التأمين على الحياة ليدفع قسطاً من المؤمن به على حياته ، وطلب مني أن أصحبه وقال لي : لم لا تؤمن أنت أيضاً على حياتك ؟ فقلت في نفسي : حقاً لم لا أؤمن على حياتي ؟ إنني لا أدخر شيئاً ، وهذه قطع كبدي تمشي على الأرض ، ولا يملك أبوهم شبراً من أرض ...

وقال صديقي : على أنك إذا طلبت التأمين عهدت الشركة إلى طبيبها أن يفحصك فحصاً تاماً ليتحقق سلامتك من جميع الأمراض ، فإذا كانت هذه السلامة اطمأننت على صحتك وجنيت فائدة التأمين ، وإلا عرفت داءك فتبادر إلى علاجه ؛ وسيسألك الطبيب عن الأمراض التي أصبت بها في حياتك ، فلا تصدقه وقل له : إنك لم تصب بأي مرض في أي زمن . تصور أني قلت له : لم أمرض إلا مرة واحدة في حياتي ، إذ أصبت بحمى (الدنج) فجعلت الشركة تبحث عما عساه أن يكون لهذه الحمى من الآثار التي تقصر الأعمار ... وبعد البحث والدرس ، والأخذ والرد ، قبلتُ التأمين . قلت لصديقي : إنك — ولا شك — أصدق المؤمنين على حياتهم لدى هذه الشركة !

وتقدمت إلى الشركة بطلب التأمين على حياتي بألف جنيه ، على أن أدفع أقساطاً شهرية بضعة جنيهات ؛ وزعمت أني لن أبالي بعد ذلك أن أموت في أي وقت تاركاً لأولادي ألف جنيه ! وكنت شديد الحذر من سيارات الحلفاء وما إليها من الدواهم التي تعج بها شوارع القاهرة ، وزعمت أيضاً أنني لن أكون كذلك بعد أن يتم عقد التأمين ...

واستدعتني الشركة للفحص الطبي ، وليس يهمك أن تعلم أني أخذت بنصيحة صديقي في الكذب على الطبيب أو لم آخذ بها ، فقد حدث ما شغلني عن ذلك ، وهو المقصود من هذه الحكاية ، فلنقصد إليه قصداً ... لفَّ الطبيب على ذراعي قطعة من قماش أسود كثيف ، وأدار الآلة المتصلة بها ، فضغطت على ذراعي ، ونظر إلى دائرة بها مشير يتنقل بين أرقام ... ثم قال : عندك ارتفاع في ضغط الدم !

ضغط الدم ... ! وما ضغط الدم ... ؟

لم يجب الطبيب ، لأنه لا يتكلم في الصميم ، وإنما أبدى استعداده للعلاج .

ولكني لم آت هنا للعلاج ... ولست أعرف هذا المرض ، ولا أحس له بأعراض ، وإنما أطلب التأمين على حياتي ... ولكن الشركة لا تؤمن هذه الحياة التي يتحيفها ضغط الدم ...

وذكرت قول صديقي : « ... وإلا عرفت داءك فتبادر إلى علاجه » ، ولكنني أصررت على تجاهل هذا الداء ، أما أولادي فإن كنت سبباً في وجودهم فإن موجدهم الأصيل الذي يكفلني ويكفلهم أقدر على كفالتهم بعدي ، وهو المستعان في كل حال .

ولكن مالى أنتبه عند ما أسمع الناس يرددون كلمة « ضغط الدم » بين ارتفاعه وانخفاضه ، وأرى اهتمام بعضهم بقياسه ، ومعرفة درجته ومعالجته ...؟ استرعى ذلك انتباهى ، وأثار باطن الشعور الذى خلته انتفى عنى ، فقصدت أحد الأطباء ... ولفّ على ذراعى ذلك القماش الأسود ، وقاس ضغط دمى ، وسألنى عن سنى ، وقرر أن الضغط مرتفع إلى درجة لا يحسن السكوت عليها .

ورحت أتناول الأدوية ، وسرت على (الرجيم) وكنت كلما أخذت دواء ، أو أكلت مسلوقا ، أو حرمت نفسى محذوراً ؛ أوحى إلىّ كل ذلك أننى حقاً مصاب بضغط الدم ، وكأن كل ذلك يأمرنى أمراً بأن أكون كذلك ، فيجب أن أستشعر ثقل الدماغ والصداع وفتور الجسم ، وارتخاء الأطراف ، فيجيئنى كل ذلك ومعه هموم الدنيا وسواد العيش . وكنت أحس كلما وطئت قدماى عتبة (عيادة الدكتور) أن الضغط يرتفع ، وإن كنت قد أوحيت إلى نفسى فى الطريق أن الأدوية و (الرجيم) قد أفادت فأذهبته ... فيقيس الطبيب ، وأعاود تعاطى الأدوية ، والخضوع (للرجيم) وهزل جسمى وضعف بدنى . وعجبت من أن حالتى تزداد سوءاً على مرّ الأيام ، مع العناية والدقة فى مراعاة مقتضيات العلاج ، ومع الحرمان التام من كل ما يزيد الضغط !

حرت فى الأمر ، فمرة أقول لعل المرض كان فى أطواره الأولى خفيفاً ، أما الآن فقد استفحل أمره حتى أعضل ، ولولا هذه المعالجة لأدى بى إلى الحالة التى خشيت شركة التأمين خسارتها فيها ، ومرة أقول لعل هذا الطبيب غير موفق ، فأغيره ولا يتغير الحال . وأخيراً قلت : ألم أكن قبل بخير ؟ فلم لا أرجع كما كنت ؟ وطرحت الدواء وخلعت طاعة (الرجيم) فغذيت جسمى باللحم والبيض ، ورويته بالخضر المطهية بالطماطم ، وعمرت دماغى (بالتقلية) فعادت روحى إلى بدنى ، وجعلت الحيوية تدب فى أوصالى ، وأقبلت على رياضتى البدنية التى كنت تركتها خيفة أن ينفجر القلب وتتمزق الشرايين ؛ فأشرقت نفسى ورأيت الدنيا مشرقة ؛ وكل شىء يبسم ويدعونى إلى مشاركته ؛ وأدركت ما كاد يفسد من أمورى ، فطابت نفسى بذلك وحمدت الله على هذا التوفيق . ولم أندم على تلك المحنة لأننى اعتبرتها تجربة استفدت منها ؛ إذ عرفت أن دائى من الحالة النفسية التى وقعت فيها ، والتى كانت تستشرى عند كل مرسوم من مراسيم العلاج إذ أفكر متسائلا : لم آخذ هذا ؟ ولم أدع ذاك ! وعرفت أيضاً أن دائى من ضعف بدنى لحرمانه التغذية والتقوية ، كما عرفت أن سواد عيشى كان من سواد قماش تلك الآلة التى يقيسون بها ضغط الدم .

ولكن لم تدم جدوى هذه العبرة طويلا ، فقد أوقعنى سوء الطالع مرة ثانية مع موظف فى شركة أخرى للتأمين ، من أولئك المنوط بهم جلب حرفاء للشركة لقاء جعل مقدر بنسبة مئوية من مقدار التأمين ، وأهم ما يتصف به هؤلاء اللباقة فى الحديث ، والقدرة على شرح فوائد التأمين والإقناع بضرورته . أكد لى أن صحتى جيدة ، وأنه لا يبدو علىّ ما يدل على ضغط الدم ، وأن الضغط لا يرتفع فى دم من هو فى نحافتى وفى مثل سنى . ورضيت أن أتقدم للتأمين مرة أخرى ... وما وضعت قدمى على عتبة طبيب الشركة حتى هممت بالرجوع لأنجو بدمى من أكدار أحسست أنها تتسرب إليه ، ولكننى أشفقت على الموظف الذى يدعونى إلى الدخول متلطفاً مبتسما ؛ فدخلت ، وتمت الطامة برؤية مقياس الضغط ذى القماش الأسود الكثيف ... وأظهر الطبيب استعداده للعلاج ... فخرجت وقد أضفت إلى ثبت المنغصات فكرة التأمين على الحياة ، وباعتبارى إنسانا إذا مسه الضر دعا الله إلى جنبه — تذكرت تلك الحكمة التى خطرت لى عقب رفض الشركة الأولى تأمين حياتى . فقلت : « أما أولادى فإن كنت سبباً فى وجودهم فإن مُوجدهم الأصيل الذى يكفلنى ويكفلهم — أقدر على كفالتهم بعدى » .

على أننى لم أدر تماماً أأنا حقاً مصاب بذلك الضغط ، وأن التفاوت بين الحالتين يرجع إلى تلك الأسباب من تركيز تفكيرى فيه كلما جرعت دواء ، أو أكلت مسلوقاً أو تجنبت محذوراً ، ومن الشعور الكريه الذى ينتابنى فى مدخلى إلى الطبيب ، واسوداد الدنيا أمام ناظرى حينما أبصر ذلك القماش الأسود ، ومن التفكير فى التأمين على الحياة ، إلى ما يجره كل هذا من الهم والحزن ونكد العيش ؛ فإذا نفت عنى إرادتى كلَّ ذلك ،

صحائف مطوية :

١ – من أخلاق البحتري

علاقته بالخلفاء

للأستاذ محمد رجب البيومى

لأبى عبادة البحترى عند أدباء العربية مكانة رفيعة لا يتطلع إليها أبعد الناس أملا فى نباهة الذكر ، واستفاضة الشهرة ، فهو أحد الثلاثة الذين رزقوا من الحظوة والذيوع ما جلجل صداه فى كل زمان ، على أن الوليد أعمقهم تأثيراً وأكثرهم أنصاراً ، نظراً لديباجته الناصعة ، وسلاسته المترقرقة ، ووضوح معانيه وضوحا يصل بها إلى أعماق القلوب بمجرد النظرة الأولى ، ولا كذلك أبو تمام والمتنبى ، فالأول مغرق فى الغموض والالتواء ، والثانى مولع بمخالفة أهواء الناس ، وحسبك أن يقول أبو العلاء — وهو أبعد الناس عن مذهب الوليد — « أبو تمام والمتنبى حكيمان وإنما الشاعر البحترى » !

ولقد تناول شعره بالنقد والتحليل طائفة ممتازة من أرباب الأقلام الناضجة فقالوا فيه ماشاء لهم تفكيرهم واستنتاجهم ، فمن متعصب له كالآمدى ، ومن متعصب عليه كالصولى ، ومن متجرد عن الميول والأهواء كابن الأثير ، ومهما يكن من شىء فقد خرج الأدب من هذا التطاحن المحمود بثروة كبيرة تعتز بها المكتبة العربية على ممر الأحقاب . وإن من الغريب أن يغفل هؤلاء جميعاً عن دراسة أخلاق البحترى دراسة تبرزه على حقيقته أمام الجمهور ، اللهم إلا شذرات يسيرة فى مختلف الأسفار لا تشبع نهمة راغب فى البحث ، آمل فى الوصول إلى نتيجة واضحة يفهم على ضوئها شعر البحترى كما يجب أن يكون الفهم والاستنتاج !

على أنى آسف كل الأسف لهذه الحقيقة المؤلمة التى اهتديت إليها بعد بحث جهيد ، والتى تصور لنا البحترى خبيث الطبع لئيم السكر ، ملتهب الحقد ، وهذا يتجلى بوضوح تام فى مختلف علاقاته بالناس من خلفاء وشعراء وأصدقاء ، بل فى علاقته بأقاربه وأهل بيته وهم أولى الناس بعطفه وإشفاقه ، لو كان فى قلب الوليد إثارة من عطف وإشفاق !

ونظرة واحدة إلى ديوانه تريك العجب العاجب من وقاحته

أو إذا ذهب عنى لا يتمادى عن مثيراته شعرت بأنى فى حالة عادية لا يشوبها أى كدر ، ولكن ما بالى لم أشعر بشىء من قبل ولا من بعد ؟ أم أنا يوم فحصنى طبيب الشركة وقاس ضغطى لأول مرة كنت متغير المزاج لأى سبب بأن وقع لى قبيل الفحص ما جعل مشير القياس يرتفع إلى رقم ما كان يبلغه لو كنت فى حالة عادية ، ثم استقرت الفكرة فى نفسى بعد ذلك بحيث يسبب الشعور بها عند كل مناسبة ارتفاعاً فى الضغط ؟ وعلى ذلك أستطيع أن أفرض أن كثيراً من الناس أصيب به عند ماشاهدت عيناه القماش الأسود يلف على ذراعه لأول مرة ، وصارت رؤيته بعد ذلك تبعث الوساوس وتجلب الأكدار .

ولا أعنى بالوصول إلى نتيجة حاسمة فى ذلك ، فلا سبيل إليها أولا ، لعدم الانسجام بين راحة بالى وبين مقياس الضغط . والأمر الثانى الذى يصرفنى عن تحقق وجود ارتفاع الضغط هو أنى عرفت أن أوفق شىء لى أن أحيا حياة صحية عادية ، لا أتكلف فيها تناول شىء أو تجنب آخر مادمت فى حدود القانون الصحى العام ، وأننى عند ما أعمد إلى العلاج أرانى أتداوى « بالتى كانت هى الداء[1] » على فرق ما بينى وبين أبى نواس من اللذة والألم والنشوة والحسرة ، ومن أن كأسه تداوى والذى كنت فيه يدىء[2] .

وبعد ، فهذه قصتى مع ضغط الدم ، سقتها هنا بدافع الرغبة فى التعبير الأدبى عن تجارب تضمنت أحاسيس وانفعالات ، ولعل فيها إلى ذلك مادة تنفع من وقع فى مثل ما وقعت فيه ، أو تعصم من يوشك أن يقع ، أو تحمل العبرة إلى من يعتبر من بعيد .

عباس حسان خضر

---

(١) من بيت أبى نواس المشهور فى الخمر :

دع عنك لومي فان اللوم إغراء ... وداونى بالتى كانت هى الداء

(٢) يصيب بالداء .

وغدره فهو يمدح الرجل ويذمه مرات عديدة لا لأنه يستحق المدح أو الذم مثلا، فذلك مقبول، بل لأنه جاد له بالمال فمدحه ثم أبطأ قليلا في سيبه فأقذع في هجوه، غير متذكر ما طوق به جيده قبل ذلك، بل لقد وصل به التنكر والجحود إلى أن جعل شعره محلا تجاريا يأخذ منه ما يلزمه إبان حاجته فهو — كما يقول صاحب الموشح — يمدح الإنسان بتحفة خالدة من رائع الشعر ثم يعرض له بعد تناسل الأيام أن يمدح محسنا آخر فيدفعه لؤمه إلى أن يعمد إلى شعره الذي قاله في الممدوح الأول فيغير ما يحتاج إلى تغيير من الأسماء والألقاب ثم يسوق القصيدة برمتها إلى الممدوح الثاني، وهذه طريقة مقيتة وقع فيها المتنبي أيضاً فقد مدح أبا الفضل وزير كافور الأخشيد بقصيدة:

بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا

وكان منها:

صدت السوار لأي كف بشرت بابن الفرات وأي عبد كبرا

ولما لم يثبه أبو الفضل عليها صرفها عنه وتحول إلى ابن العميد فمدحه بها بعد أن غير كلة ابن الفرات بابن العميد ثم أردفها بزيادة يسيرة تتضمن جانباً من أوصاف ابن العميد[1] ... وإذا كان المتنبي قد وقع في ذلك مرة واحدة فقد كان البحتري غارقا في هذه العادة إلى أذنه، حتى أنه كرر هذه الجريمة الأدبية إحدى وعشرين مرة[2] وكأن الله عز وجل أراد أن يكشفه للناس على حالته، فبالرغم من تحفظ ولده أبي الغوث عن الوقوع فيما يدل على ذلك حين جمع ديوان والده فقد ذكر له قصيدتين متشابهتين في أكثر الأبيات فأنت تقرأ اللامية التي مدح بها المتوكل على الله ومطلعها:

قف العيس قد أدنى خطاها كلا لها

وسل دار سعدى إن شفاك سؤالها

ثم تقرأ قصيدته التي مدح بها ابراهيم بن المدبر ومطلعها:

وقوفك في أطلالهم وسؤالها

يريك غروب الدمع كيف انهمالها

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان.

(٢) الموشح للمرزباني.

أقول: تقرأ هاتين القصيدتين فتجدهما متوافقتين لفظا ومعنى في كثير من الأبيات. ولك أن تستنتج من هذا حكمك على ضمير البحتري الفاسد، وحرصه على ابتذاذ الأموال بما تنكره مروءة الأخلاق.

ولننظر أولا إلى علاقته بالخلفاء لنعرف إلى أي مدى سفل الوليد، فما صان عهدا ولا حفظ إلاً، حتى مع المتوكل على الله، ذلك الخليفة المعطاء الذي أدناه من مجلسه وأغرقه في طوفان من حبائه، واختاره نديماً على بساط الشراب إلى أن لقي حتفه وهو في ندوته يجاذبه أطراف السمر مع الفتح بن خاقان، وحين حلت الكارثة قام الوزير الشجاع بما يفرضه عليه واجب الشهامة والرجولة ففاضت روحه قبل سيده، وفر البحتري إلى حمام مهجور بقصر القاطول فاختبأ فيه وبعد ذلك جاء يكذب على الناس فيقول في اختلاق ذميم:

أدافع عنه باليدين ولم يكن ليثني الأعادي أعزل الليل حاسره

ولو كان سيفي ساعة الفتك في يدي

دري الفاتك العجلان كيف أساوره

مع أن البحتري لو كان صادقا في قوله لصرع لساعته كما صرع الفتح بن خاقان شهيد المروءة والوفاء!

ونحن لا نبالغ في مؤاخذة البحتري على فراره هذا فلعله ممن لا يلقون بأيديهم إلى التهلكة. ولكننا نبالغ في مؤاخذته على هجائه المتوكل بعد مصرعه برغم ما غمره به من خير عميم، فقد قال في مدح المنتصر قاتل المتوكل العاق:

حججنا البنية شكرا لما حبانا به الله في المنتصر

تلافى البرية من فتنة أظلهمو ليلها المعتكر

ولما ادلهمت دياجيرها تبلج فيها مكان القمر

ولو كان غيرك لم ينتهض بتلك الخطوب ولم يقتدر

رددت المظالم واسترجعت يداك الحقوق لمن قد قهر

وآل أبي طالب بعدما أذيع بسربهمو فابذعر

ونالت أياديهمو جفوة تكاد السماء لها تنفطر

بقيت إمام الهدى للهدى تجدد من نهجه ما اندثر

ومعلوم أن المتوكل هو الذي غالى في قهر آل أبي طالب!!

فهل يليق أولا أن يمدح قاتله ؟! وهل يليق ثانيا أن يمرض بهجاء ولى نعمته الأول فيقول إن الفتنة أظلت دياجيرها فى عهده وأن الهدى قد اندثر على يده ؟ إن هذا لغريب .

على أن البحترى لدناءة أصله ، وخسة طبعه لم يلبث أن قلب للمنتصر — ولى نعمته الثانى — ظهر المجن ، فهجاه هجاء مرا بعد مقتله ، ثم انقلب إلى الخليفة الجديد المستعين بالله يتزلف إليه ويمدحه حتى يستنزف أموال خزائنه فهو يقول متظاهرا بالولاء والإخلاص :

لقد نصر الإمام على الأعادى   وأضحى الملك موطود العماد
أمير المؤمنين اسلم فقدما   نفيت الغى عنا بالرشـــاد
تدارك عدلك الدنيا فقرت   وعم نداك آفاق البـــلاد

ولقد هبت فى عهد المستعين بالله زعازع شديدة تنبىء بزوال دولته نظراً لقوة أنصار المعتز بالله غريمه الأول ومنافسه الألد فرأى البحترى أن يحتاط لنفسه فأرسل للمعتز فى سجنه قصيدة تنبىء عن ولائه ، وكان قد قالها قبل ذلك فى حبس سعيد بن يوسف ولـكنه كما قلنا — فيما تقدم — شاعر تجارى يتصرف فى شعره كما شاء ، ومما جاء فى هذه القصيدة :

جعلنا فداك ، الدهر ليس بمنفك
من الحادث المشكو والنازل المشكى
وقـد هذبتك الحادثات وإنما
صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك
على أنه قد ضيم فى حبســـك الهدى
وأضحى بك الإسلام فى قبضة الشرك
أما فى نبى الله يوسف أسوة   لمثلك محبوسا على الجور والإفك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة   فآل به الصبر الجميل إلى الملك

وكأنى بالبحترى وقد خاف أن يعلم المستعين بالله نبأ هذه المراسلة فتقدم إليه بقصيدة عصماء مظهراً ولاءه ووفاءه قائلا فى ديباجة مشرقة وأسلوب سلس :

بقيت مســـلما للمسلمينا   وعشـــت خليفة لله فينا
فقد أنســـيتنا بذلا وعدلا   أبوتك الهداة الراشـــدينا
أراد الله أن تبـــقى معانا   فقدر أن تسمى مســـتعينا
إذا الخلفاء عـــدوا يوم فخر   ســـبقت سراتهم سبقاً مبينا
وقيناك المنون وإن حظاً   لنا فى أن نوقيـــك المنونا

وبعد أن أمن على نفسه من ناحية المستعين أخذ يراسل المعتز بالله من جديد فهو يقول فى مخاطبة غلامه نائل :

ألا هل يرجع العيش لنا مثل الذى كانا
وهل ترجع يا نائل بالمعتز دنيـــانا
عدمت الجسد الملقى على كرسى سليمانا
فقـــد أصبح للمنة نقلاه وبقلانا

والجسد الملقى على كرسى سليمان هو المستعين بالله الذى قربه من مجلسه وغمره بنواله . ولما دارت الدوائر على المستعين وقتل فى قصره تحت جنح الظلام ، أخذ البحترى يضحك لآماله ، وسار من فوره إلى المعتز بالله معتمداً على ما كان بينهما من مراسلة خفية ثم مدحه بقصيدة طويلة عرج فيها على المستعين — ولى نعمته الثالث — فسلقه بلسان حاد ولصق به جميع المثالب حتى جرده من إنسانيته فهو يقول فى هجائه :

متى أسل الديان أن تصطفى له   عرى التاج أو تثنى عليه عصائبه
وكيف ادعى حق الخلافة غاصب   حوى دونه إرث النبى أقاربه
بكى المنبر الشرقى إذ خار فوقه   على الناس ثور قد تدلت غباغبه
ثقيل على جنب الثريد مراقب   لشخص الخوان يبتدى فيواثبه
إذا ما احتشى من حاضر الزاد لم يبل
أضاء شهاب الملك أم كل ثاقبه
تخطى إلى الأمر الذى ليس أهله   فطوراً ينازيه وطوراً يشاغبه
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر   وعرى من برد النبى مناكبه
وقد سرنى أن قيل وجه مسرعاً   إلى الشرق تحدى سفنه وركائبه
إلى دسكر خلف الدجاج ولم تكن
لتنشب إلا فى الدجاج مخالبه

ثم أخذ يكرر هجاءه ثانية وثالثة ورابعة وما ذاك إلا ليحوز قبول المعتز بالله ! فيا لضيعة الوفاء(١) ...

ولقد كان مصير من سبقه من الخلفاء فى هذا العهد الأحمر

---

(١) للبحترى فى مدح المعتز قصيدة مطلعها .

حذرت الحب لو أغنى حذارى   ورمت الفر لو نجى فرارى

ولقد هجا فيها المستعين هجاء فاحشاً أستحى أن أنشر شيئاً منه على صفحات الرسالة ، ولا أدرى كيف تحملتها أذن المعتز بالله حين أنشدها إياه؟!

الذى فاضت فيه دجلة بدماء الخلفاء ، حتى كان تعيين الخليفة حكما عليه بالإعدام ، فهو ينتظر تنفيذه بالليل ، فإذا أخطأه ترقبه بالنهار ؟! ولعمرى أى خطأ شنيع وقع فيه المعتصم حين اصطنى هذه الشرذمة السافلة من غوغاء الأتراك ليدفع بها سلاطة الفرس على قلة شرهم — فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم !

وما إن عرف البحترى مصرع المتوكل حتى توجه كعادته إلى غريمه الجديد ، يمدحه ويستدر عطفه . وما فى ذلك عيب ، ولكن العيب كل العيب فى تعريضه الشنيع بهجاء المعتز — ولى نعمته الرابع — محاولا أن يشفى بذلك غلة الممدوح ، ولو طال أمد البحترى إلى الآن لوجدناه يحرص على تمثيل هذا المنظر القبيح مع من يتعاقب على الدول من ملوك وخلفاء .

وليت شعرى كيف عمى الخلفاء عن تلاعب البحترى بهم هذا التلاعب المقيت ، فلم يتنبهوا إلى غدره الفاحش ، فيقفلوا أبوابهم فى وجهه على أقل تقدير ، ولكنه الحظ الذى ستر مثالبه ، وأطبق العيون عن مخازيه ، فجعل كل خليفة يتتيم له ناسياً ما ارتكبه فى حق زميله السابق من غدر وعقوق ، ولقد كان أبو تمام أولى بهذه الحظوة لدى الخلفاء ، لما نعرفه من نبل أخلاقه ، وكرم خلاله ، إلا أن السعادة التى احتضنت البحترى قد ناصبت حبيباً العداء ! ! فقد مدح المعتصم بقصيدتين خالدتين ثم رجع ولم يظفر بطائل رغم شفاعة أحمد بن أبى دؤاد ! !

والحظ يقسم عاش بشر ما اشتكى بصراً وعمراً أكمها بشار !

على أن له مع أحمد بن الخصيب موقفاً كموافقه مع الخلفاء سواء بسواء ، قال صاحب الموشح « حدثنى أحمد بن أبى طاهر فقال : ما رأيت أقل وفاء من البحترى ولا أسقط ، رأيته قائماً ينشد أحمد بن الخصيب مدحاً له فيه ، فحلف عليه ليجلس ، ثم وصله واسترضى له المنتصر وكان غاضباً عليه ، وأخذ له منه مالا فدفعه إليه ، ولما نكب المستعين أحمد بن الخصيب بعد كرمه هذا رأيت البحترى ينشده

لابن الخصيب الويل كيف انبرى بإفكه المردى وإبطاله
قد أسخط الله بإعزازه الد نيا وأرضاها بإذلاله

يا ناصر الدين انتصر موشكا من كائد الدين ومغتاله
فهو حلال الدم والمال إن نظرت فى سائر أحواله
والرأى كل الرأى فى قتله بالسيف واستصفاء أمواله

ثم قال ابن طاهر كأن ابن الملحة فقيه يفتى الخلفاء فى قتل الناس ! ترحه الله »

هذه علاقة البحترى المخزية مع أولياء نعمته ، ولقد كان فى حاجة إلى من يذكره بقصة صعصعة بن غالب حين بلغه موت الوليد ابن عبد الملك ، فقال : لعنه الله وأخزاه ! لقد سبنى مرة أمام حشمه وخوله ، وكان والده غالب حاضراً فقال : يابنى لقد رفعت من ذكر الوليد إذ ذكرت سلطانه عليك ، وخفضت من شأنك إذ نبهتنا إلى منزلتك لدى الخليفة وأنت سيد قومك ، فلا تفضح نفسك بهجاء رؤسائك أمام الناس ! ! »

(يتبع) **محمد رجب البيومى**

إلى المجمع اللغوى :

الأسماك فى الشواطئ الحضرمية

للأستاذ على عبود العلوى

— ٣ —

اللغة المهرية :

هذه هى المعلومات التى دونتها عن الملاحين الحضرميين طيلة الساعتين التى كنت أتخطر فيهما مع النسمة الروحية — لا — الغذائية .

وهى كما ترى على أكثرها مسحة اللغة المهرية والشحرية — نسبة إلى الشحر — وهى ليست بذلك كما يقول علماء اللغة .

وقبيلة مهرة من القبائل العربية ونسبها إلى قضاعة . وتسكن مهرة فى ظفار الحبوظية ومرباط وصيحوت وغيرها من الأماكن الشرقية بالنسبة إلى موقع حضرموت . وهذه الأماكن يشملها إسم حضرموت وذلك حسب التقسيم الجغرافى القديم ولا يعتد بالتقسيم السياسى اليوم .

وذكر بعض مؤرخى العرب أن لغة مهرة هى من بقايا التراث العربى القديم أعنى أنها من بقايا لغة عاد . وهى إلى اليوم لا كتابة لها .

ويؤكد بعض المؤرخين أنها من بقايا اللغة الحميرية . ويؤيد هذا الرأى فضيلة شيخنا العلامة الكبير مفتى (جوهور) سابقا السيد علوى بن طاهر الحداد العلوى[1] يقول :

« ويدل على هذا وجود كلمات فيها نص علماء اللغة على أنها حميرية . أذكر منها أنهم يسمون اللبن (شِخَوفْ) وهذا اسمه بالحميرية كما فى القاموس ، ويقولون (قَبَهلْ) بمعنى أقبل . وقد ذكر هذا اللفظ بمعنى الوجه فى ترجمة صاحب القاموس ، ويقولون للنار (شَوَاظْ) ، وهذا محرف عن شُواظ ، ويسمون الماء (حَموهْ) وهذا هو اسمه فى لغة عربية بتفخيم ألف وزيادة الحاء فقد حكى علماء اللغة أنه يقال : فيه (حاه) على لغة فإذا فخم الألف أقرب جرسه فى السمع مما ذكر .

وقال أيضاً[1] : وللمهرة والقَرى — هم بادية مهرة وتسكن الجبال — وأهل سقطرى لغات متقاربة تجمعها اللغة المهرية ، وبينهما فروق . وتسمى لغة القرى بالحِكلى .

وأعدادهم محرفة عن العربية بتحريف بعيد أو قريب ، والعدد فى لغة الأمحارة الحبشية أقرب إلى العربية منها .

	أعداد القرى	أعداد المهرة	أعداد الحبشة
(١)	طاد	كَطاطْ	أحَدْ
(٢)	تِرَهْ	ثِلْثْ	لِسْنَيْن
(٣)	صَاطِيْط	صافيدْ (أو صفديد)	سلاسى
(٤)	أرْبَمَطْ	أرْبوُتْ	أرْبُوه
(٥)	خُونِشْ	خُمُهْ	هَمْسَهْ
(٦)	شِتِتْ	يَتّيه	سَدِسْ
(٧)	شِبْعَتْ	هِيَيَايِتْ	لَسْبُو
(٨)	ثِنْيَتْ	ثِمِنْتْ	سَمانيه
(٩)	تسعِتْ	تَايِتْ	زَطّى
(١٠)	عِشْرِتْ	عِشْرِتْ	عَشر

هذا ما نص عليه فضيلة شيخنا فى محاضرة له عن ظفار الحبوظية نجتزىء بالنقل عنها بما يهمنا حسب سياق البحث .

ولتكملة البحث نثبت هذه الألفاظ عن اللغة المهرية وهى :

ألفاظ مهرية	يقابلها بالعربية
نُخوْل	إجلس
أَثْث	قم
ثِيوُوْطْ (الثاء مفخم)	النار
حَيلو	الليل
من هوك قهبك ؟	من أين جئت ؟

(١) راجع ص ٩٧ من المجلد الثانى لمجلة الرابطة العلوية الصادرة فى بتافيا — جاوه سنة ١٣٤٧ .

(١) نفس المصدر صفحة ٩٧ — ٩٨ .

ألفاظ مهرية	يقابلها بالعربية
كمبيت	الصحفة
شخوف	اللبن
هيبيت	الناقة
هيرون	الغنم
بَقَريت	البقر
نحيل	السمن
غجنَيْنْ	صبى
غجنَيْتْ	بنت
حيبرانِيْ	إبنى

وعن اللغة المهرية صدرت فى أوربا هذه المؤلفات القيمة كما ذكرها المستشرق الإيطالى (نللينو) راجع مجلة الزهراء . فعسى أن يقوم بترجمتها المجمع اللغوى أو أحد أبناء العروبة البررة

١ — Die Mehri, Sprache. In Sudarabine من تأليف A. jAHN وطبع فى فينه سنة ١٩٠٢م .

٢ — Die Mehri und, Soqtri Sprade كتاب اللغة المهرية والسقطرية ، وهو باللغة الألمانية طبع فينه سنة ١٩٠٢ و ١٩٠٧ م وهو فى ثلاثة مجلدات .

٣ — رسائل متعددة وهى من تأليف M. rentted و N Sikanakobodr مطبوعة فى منشورات المعهد العلمى فى فينه سنة ١٩٠٩ وبعدها .

مراعى العنبر والإبل المعنبرة :

ولن أحيد أصلا عن موضوع بحثنا حينما أستطرد إلى مراعى العنبر ولا سيما أن التاريخ العربى قد أقام لها وزنا .

ويقول الأستاذ حسن عبد السلام عن منشأ العنبر فى كتابه الذخيرة :

« ويغلب على الظن أن منشأه انعقادات صفراوية تتكون فى أمعاء بعض القياطس البحرية (Sqermaceti Whale) كما تتكون الحصوات المرارية عند الانسان وغيره من الحيوانات الثديية » .

والقياطس البحرية هى التى أسماها البحارة الحضرميون بالشوحطة ، وما عزب عن أذهانهم من فصيلتها كما أشرنا إلى ذلك .

ومراعى العنبر ليست محصورة بمكان واحد . فكما يوجد على شواطىء البرازيل وجزيرة مدغشقر وجزائر الهند الشرقية والصين واليابان وزيلندا الجديدة وأستراليا وساحل أفريقيا الشمالى كذلك يوجد على الشواطئ الهندية والعربية إلى باب المندب .

وللشواطئ الحضرمية نصيب من ذلك كما حدثنا التاريخ عنها فى القديم بل والحديث .

قال الهمدانى : (وبها - أى اليمن — مراعى العنبر على سيوفها ولمهرة وبنى مجيد على سيفى بحر اليمن شرقا وغربا الجمال المنبرة . وذلك أن مساعها على الساحل ، وإذا اشتم الجمل العنبر به برك فلم يثر حتى يفتقده صاحبه ، فيطلبه فيجده بالقرب منها فيلتقطها . فان أبطأ عليه لم يبرح حتى تفتر قواه من الجوى وربما نفق فذلك خيفته عليها . صفة جزيرة العرب صفحة ٣٧) .

وقال فى موضع آخر : « وباليمن من كرام الإبل الأرحبية لأرحب بن الدعام من همدان ، والمهرية ثم من المهرية العيدية تنسب إلى العيد قبيلة من مهرة ، والصدفية ، والجرمية ، والداعرية تنسب إلى دعر من بلحرات ، والمجيدية ، ومنها الإبل المنبرة . صفحة ٢٠١ » .

وقسم أبو عبد الله محمد أبو طالب الأنصارى الدمشقى المعروف بشيخ الربوة المتوفى سنة ٧٢٨ هـ العنبر إلى خام ومبلوع . وله نظرية فى العنبر . أو هى نظرية المعلومات السائدة فى ذلك العصر وهذه النظرية لا تتفق والمعارف العصرية كما ذكرنا عن الأستاذ حسن عبد السلام ، ولا يفوتنا أن نشير إلى أنه نبه فى آخر بحثه إلى ما هو معروف لدينا اليوم وقال : قال قوم : إن العنبر زبل هذه الدابة .

ولا غرو أن نتيح له الفرصة ليتحدث إلينا بمعلومات أجدادنا العرب السابقين قال :

« ولهذا المحيط — يقصد بذلك المحيط المغربى — مد وجزر كما المحيط المشرق . ويقذف ساحله العنبر الخام من غالب جهاته

ولاسيما من خلجانه . والعنبر نبع من عيون من جبال بقعر البحر المالح الفارسي والحبشي والهندي والمغربي والصيني والموسوي فيركب بعضه بعضاً . وهو في حين خروجه شديد الفوران والحرارة فإذا لاقى برد الماء جمد على أحجار وصار جماجم صغاراً وكباراً فيكون جموده كجمود الشمع إذا أصابه بعد ذوبه الماء البارد فيبقى لاصقاً بتلك الصخور إلى أن يهيج البحر في زمن الشتاء فيقتلعه قطعاً قطعاً ويخرجه إلى سطحه فترمى به الأمواج إلى الساحل

وأجوده الذي يقع إلى ساحل الشحر من بلاد المهرة فيلتقطه الجلابون ؛ وربما ابتلعه سمك يسمى أوال ، فإذا ابتلعه مات من شدة حرارته فتريقه الأمواج أيضاً فيشق عنه جوفه ويستخرج منه ، وله رائحة زهمة ويسمى المبلوع والآخر الخام .

والعنبر إذا ألقاه الموج إلى الساحل لا يأكل منه حيوان إلا مات ولا ينقر منه طائر إلا انفصل منه منقاره . وإذا وضع عليه رجليه نصلت أظفاره فإن أكل منه شيئاً مات .

وقد ورد في دابة العنبر حديث صحيح وهو : أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث ثلاث مائة رجل سرية وأمر عليهم أبا عبيدة ابن الجرّاح رضي الله عنه فأجهدهم الجوع حتى أن الرجل كان يقتات في اليوم والليلة بتمرة واحدة فبينما هم يسيرون على ساحل البحر إذ أصابوا دابة العنبر مثل الكثيب الأضخم ميتة فأكلوا منها شهراً حتى سمنوا وكانوا يغترفون من وقب عينيها الدهن بالقلال ، وأخذ أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم في الوقب ، وأخذ ضلعاً من أضلاعها فنصبه ثم أدخل أعظم بعير وأركبه أطول رجل وأمره يدخل تحت الضلع فلم يبلغ رأسه منقعره . ولما رجعوا تزودوا من لحم السمكة حتى أوصلتهم إلى المدينة . فلما قدموا حكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هذا رزق ساقه الله إليكم . فهل معكم شيء فتطعمونا ؟ فأرسلوا إليه منه فأكل .

وقال قوم : إن العنبر زبل هذه الدابة . صفحة ١٣٣ — ١٣٤ من كتابه (نخبة الدهر وعجائب البر والبحر) المطبوع في بطرسبورغ سنة ١٢٨١ هـ و ١٨٦٥ م .

ومن نصه نفهم امتياز العنبر الذي يلقى على الشاطئ* الحضرمي على غيره .

٢٦ ، ٢٧

وللمسعودي إشارات إلى مرامي العنبر بالشواطئ* الحضرمية والإبل المنبرة فليراجعها من أحب .

ولا أعرف عن الإبل المنبرة شيئاً اليوم . أما مرامي العنبر فلا تزال القياطس البحرية تكرم شواطئنا الحضرمية بعبراتها الودية في كل حين .

وهذه الإبل المنبرة هي التي أشاد بذكرها التاريخ في سرعة السير كما تحدثت عنها الأسفار الأدبية . قال البعيث الحنفي :

وهاجرة يشوى مهاها سمومها	طبخت بها عيرانة واشتويتها
مفرجة منفوجة حضرمية	مساندة سر المهارى انتقيتها
فطرت بها شجعاء قرماء جرشما	إذا عد مجد العيس قدم بيتها
وجدت أباها رائضها وأمها	فأعطيت فيها الحكم حتى حويتها

وقال جرير :

وكيف ولا أشد حبال رحل	أروم إلى زيارتك المراما
من العيدى في نسب المهارى	تطير على أخشتها اللغاما
وتعرف عتقهن على نحول	وقد لحقت ثمائلها انضماما

وقد غالى في القول أبو الشمقمق وجاوز الطرف إذ جعل نعليه تسابق الإبل المهرية على شدة سرعتها في السير ، ولندعه يحدثنا كما شاء له طرفه وأدبه . قال :

رحل المطى إليك طلاب الندى	ورحلت نحوك ناقتى نعليه
إذ لم يكن لي يا يزيد مطيتي	فحملتها لك في السفار مطيه
تحدى أمام اليعملات وتغتلي	في السير تترك خلفها المهريه ؟!
من كل طاوية الصوى مزورة	قطعاً لكل تنوفة دوسيه
فإذا ركبت بها طريقاً عامراً	تنساب تحتى كانسياب الحيه
لولا الشراك لقد خشيت جماحها	وزمامها من أن تمس يديه ؟ !
تنتاب أكرم وائلا في بيتها	حسباً وقبـة مجدها مبنيه
أعني يزيداً سيف آل محمد	فراج كل شديدة مخفيه
يوماه يوم للمواهب والندى	خضل ويوم دم وخطف منيه
ولقد أتيتك واثقاً بك عالماً	أن لست تسمع مدحة بنسيه

ويقصد الشاعر بيزيد : يزيد بن المؤيد الشيباني ، وكان والياً على اليمن .

علي عبود العلوي

دعبل الشاعر الشجاع الوفي

للأستاذ عبد العظيم علي قناوي

يتربص الرجل أن تضع زوجه حملها ليتخير لوليدها أحسن الأسماء ، فإن كان من التقاة الهداة تيمن باسم من يرى فيه الأسوة الحسنة ، والقدوة الطيبة ، وإن كان من الأدباء أو السراة دارت بخلده أسماء الأغنياء والأشراف ينتقي منهم من يرى مسماه المثل فيما يشتهيه ، ولا أحسب والداً أو والدة يختاران لوليدهما اسماً قبيحاً أو لقباً مستهجناً لا سيما والأسماء بغير ثمن ، إلا إذا جاء ذلك ساعة دعابة أو مرح ، أو عقب واقعة أو حادث كأبي الشيص وخندف وثعلب وغيرها من الألقاب والكنى والأسماء .

وإذن فلم سمى أبو دعبل ابنه بهذا الإسم ؟ ألأنه رأى فيه منة وصلابة ؛ حتى إنه ليشبه الناقة القوية الضارعة ؟ أو لأنه لاحظ المنفعة والفائدة ، فللناقة لدى العرب من الفوائد ما لها ، فهي عماد حياة العربي ، كما أن الثور كان قديماً رأس مال المصري . لعل أبا دعبل لاحظ الأمرين معاً ؛ فقد كان دعبل قوى الأسر طويل الجسم ، ولا بد أن يكون قد توسم فيه سراوة طبع وصفاء ذهن ، أو على الأقل هذا ما يراه كل والد في ولده متى أهل ، فكرمه بهذا الإسم . ولقد وصف العرب الناقة ومنحوها من الصفات والنعوت ما أفعمت به أشعارهم ، وهذه معلقة طرفة بن العبد أبرز محاسنها وصف ناقته وصفاً دقيقاً في نحو ثلاثين بيتاً ، فلم يترك عضواً إلا أبدع في تصويره ؛ فمن ذلك قوله يصف خدها وعينيها ، ولعلهما أقل أعضائها حسناً :

وخد كقرطاس الشآمي ومشفر كسبت اليماني قده لم يحرد
وعينان كالماويتين استكنتا بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد

ونتنقل من سبب تسميته إلى حياته ونشأته الشعرية التي تبين صفتيه اللتين سنتحدث عنهما .

ولد دعبل في العصر الذهبي لدولة بني العباس ، فالملك ثابت الأساس موطد الأركان ، لايعرفون لبني أمية شأناً ، ولا يخافون من بني علي نقضاً ، فالأولون قبع بعضهم في دورهم يبغون نجاة ويطلبون سلامة وأمناً ، وبعضهم هجر جزيرة العرب ، ونزح من المشرق إلى المغرب ؛ فأسس ملكاً وبنى دولة ، وأما الآخرون فاكتفوا بتلك الإمامة الوهمية يتوارثونها إماماً عن إمام ، وشب دعبل عن الطوق ، واصطنع الشعر يعرضه على شعراء عصره ، وكان مسلم بن الوليد أدناهم إلى نفسه ؛ فما زال هذا شأنه حتى أمره أستاذه بإذاعة شعره ؛ لأنه آنس منه إجادة ، ورأى فيه روعة ، وكان أبدع ما أنشد ما قاله في مدح آل علي وذكر مناقبهم ، وتعداد آثارهم ، ورثاء قتلاهم ، والتحسر على صرعاهم حتى صار بحق شاعرهم الذائد عن حياضهم ، الثابت على ولائه لهم ، لا يخشى في حبهم لوماً ولا يخاف من إعلانه سخطاً ، بل هو بادى الخلفاء العداء ، فالملك لله وحده ، وأينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ؛ فماذا يبعث في نفسه الهلع وهو ينصر آل الرسول ؟ ولكن أليس الرعديد الخوار قرأ هذه الآية كما قرأها دعبل ؟ لقد قرأها ولكن هلعه أنساه إياها ، وذكره بقول الله تعالى « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » فهو يتقي الشر ويتحاشى أن يقع فيه ، ولكن دعبلا كان يرى أنه في نصرة آل علي يدعو لله ويدفع عن آل رسول الله ، فإن فاته زخرف الدنيا ؛ لم يفته أجر الآخرة ؛ إلى أنه يتصف بخلال نبيلة عدا الشجاعة في الحق ، والجرأة في الذود عنه شجاعة وجرأة يحسبهما الجبان طيشاً وحمقاً ويراهما الشهم النبيل رجولة ومنة ، ولله قول القائل فإنه ليصور في وصفه دعبلا :

قل للجبان إذا تأخر سرجه هل أنت من شرك المنية ناجي[1]

كانت حياة دعبل أصدق مثل على أن الآجال موقوتة لا تستأخر ولا تستقدم ، فإنه عادى أولى البطش والطول ، وبادى البغضاء ذوي القوة والحول عداوة لدودة لا تعرف هوادة ، يذمهم ويقذع في ذمه ، ويهجوهم ويفحش في هجوه ، غير عابىء بما قد يصيبه ، فأرض الله واسعة ، وإذا قلته دار أقلته ديار ، وحسبه أن يجد من يقاسمه زاده ويشاطره رأيه ، روى عنه أنه قال : « لي خمسون سنة أحمل خشبتي على ظهري أدور على من يصلبني عليها فلا أجد من يفعل ذلك » .

والسر في شجاعته أنه كان أول أمره وبدء نشأته من قطاع الطريق ولفة دماء البشر ، يميل إلى إشهار الشر ، ورفع يد البغي في وجوه من يحاولون مساءته ، قال له أبو خالد الخزاعي : ويحك ! قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ، ووترت الناس جميعاً ، فأنت دهرك كله طريد شريد ، هارب خائف ، فلو كففت عن هذا ، وصرفت هذا الشر عن نفسك ؟ فقال له : ويحك ! إني

(١) البيت لجرير من قصيدة يمدح بها الحجاج .

تأملت ما تقول ، فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم إلا على رهبة ، ولا يبالى بالشاعر وإن كان مجيداً إذا لم يخف شره ، ولمن يتقيك على عرضه أكثر ممن يرغب إليك فى تشريفه ، وعيوب النــاس أكثر من محاسنهم ، وليس كل من شرفته شرف ، ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ، ولم يكن ذلك فيه انتفع بقوله ، فإذا رآك قد أوجعت عرض غيره وفضحته اتقاك على نفسه وخاف من مثل ما جرى على الآخر ، ويحك يا أبا خالد ! إن الهجاء المقذع آخذ بضبع الشاعر من المديح المضرع . قال أبو خالد : فضحكت من قوله وقلت : والله هذا مقال من لا يموت حتف أنفه ! »

بهذه النفسية الحانقة على البشر كان يعيش ، وبهذا المنظار الأســود الذى يرى به الناس صعاليك أوغاداً كان يرى كثرة معاشريه ومعاصريه ، فكيف يموت حتف أنفه ؟

لقد تحققت كهانة صاحبه ، فقد مات مقتولا بعد أن طارده الخلفاء والوزراء ، وانتهت حياته على يد أتباع مالك بن طوق أمير عرب الشــام فى قرية من قرى الأهواز اغتالوه بها ، وانتقموا لعداته وهم كثر منه .

وفى دعبل صفة أخرى غير الشجاعة ، تلك هى الوفاء الصادق الذى لا يعرف فيه مينا ، والإخلاص الراسخ لا يشوبه خداع أو ختل ، وفاء لآل على على ضعفهم ، ونصرهم بشعره طوال حياته على غير خلق الشعراء ، وليعذرنا سادتنا شعراء عصرنا » الذين تستولى عليهم عواطفهم ، وتتملكهم أهواؤهم ، فمن أجزل لهم صلته حمدوه ومدحوه ، ومن قبض دونهم يده نبذوه وذموه ، وله فى ذكرهم والإشادة بهم والتنبيه على شأنهم ووجوب إعظامهم قصائد رائعة وأبيات خالدة تدل على أن نظمه فيها كان صادراً عن شعور حار ووجدان متدفق وعاطفة حافزة ، بل تدل على أنه كان رجل عقيدة ورأى وإيمان ومذهب ، لا تأخذ منه زعازع أو أعاصير ، ولا يبلبل إيمانه مآسى ومحن ، ومن قصائده الباقية على الدهر قصيدته التى وهب له من أجلها على بن موسى الرضا عشرة آلاف درهم ، وخلع عليه بردة من ثيابه أريد على بيعها بثلاثين ألف درهم ، فأبى أن يساوم فيها ، فقطع الراغبون فيها عليه طريقه ليأخذوها قسراً فقال لهم : « إنها تراد لله عز وجل وهى محرمة عليكم » . فدفعوا له فيها المبلغ التالف ، فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون فى كفنه فأعطوه كماً واحداً ، فكان بين أكفانه ، وأول هذه القصيدة هو :

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحى مقفر العرصات

لآل رسول الله بالخيف من منى ... وبالركن والتعريف والجمرات

ديار على والحسين وجعفر ... وحمزة والسجاد ذى الثفنات[1]

ديار عفاها كل جون مباكر ... ولم تعف للأيام والسنوات

ومنها :

ألم تر أنى من ثلاثين حجة ... أروح وأغدو دائم الحسرات

أرى فيئهم فى غيرهم متقسما ... وأيديهم من فيئهم صفرات

فآل رسول الله نحف جسومهم ... وآل زياد حفل القصرات

بنات زياد فى القصور مصونة ... وبنت رسول الله فى الفلوات

إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم ... أكفاً عن الأوتار منقبضات

فلولا الذى أرجوه فى اليوم أو غد ... لقطع قلبى إثرهم حسرات

خروج إمام لا محالة خارج ... يقوم على اسم الله والبركات

وهى قصيدة طويلة تسيل عيون أبياتها بالعبرات ، وتصطخب أمواج بحرها بالحسرات ، فإذا كفكف من دمعه وهدأ من روعه ، فلأنه ينتظر أن يستأمن الدهر فيؤمنه ، ويستكشف المحن فتنكشف ، فهو ينشد :

فيا نفس طيبى ، ثم يا نفس أبشرى ... فغير بعيد كل ما هو آت

فإن قرب الرحمن من تلك مدتى ... وأخر من عمرى لطول حياتى

شفيت ولم أترك لنفسى رزية ... ورويت منهم منصلى وقناتى

أحاول نقل الشمس من مستقرها ... وأسمع أحجاراً من الصلدات

ولقد رثى الحسين رضى الله عنه رثاء يدمى العيون ويفتت الأكباد حتى لكأنه حضر مصرعه ، وشاهد موقعه ، فمن ذلك قوله :

رأس ابن بنت محمد ووصيه ... يا للرجال — على قناة ترفع

والمسلمون بمنظر وبمسمع ... لا جازع من ذا ولا متخشع

أيقظت أجفانا وكنت لها كرى ... وأنمت عينا لم تكن بك تهجع

كحلت بمنظرك العيون عماية ... وأصم نعيك كل إذن تسمع

ما روضة إلا تمنت أنها ... لك مضجع ولخط قبرك موضع

هذه الأمثلة تدل على أن الرجل كان لا يخشى فى رأيه لوماً ، ولا يرهب أحداً ؛ فإنه ليهجو فى سبيل مدحه آل علىّ بنى العباس بشر القول ومقذع الهجاء . وأرى أن المأمون لم يكن ليقسو عليه لأنه عرف فيه خلتى الشجاعة والوفاء فأجله وأعظمه ، وكان كثيراً ما يستنشده شعره .

عبد العظيم على قناوي

(١) السجاد زين العابدين على بن الحسين وكانت السجود أثر فى ركبتيه ، ولقب بهذا لطول سجوده وكثرته

مظاهر العبقرية في الحضارة الاسلامية

للأستاذ خليل جمعة الطوال

— ٣ —

ولما أظهر الله الإسلام تنفست هذه الفئات المضطهدة الصعداء، وأخذت تسير بسيره، وتترسم خطاه، وإذ آنست فيه إلى ظل نظام عادل، فقد أخذت تؤسس في كل حاضرة من حواضر الإسلام مدارس للعلم ومجالس للعلماء، وأهم هذه المدارس على الإطلاق هي مدرسة الأسكندرية المشهورة.

وباتساع رقعة الإسلام أخذ الخلفاء يستعينون بهؤلاء العلماء على تنظيم شئون امبراطوريتهم السياسية، ولما ترادفت عليهم — أي الخلفاء — الفتوح، ودانت لهم الأقطار أخذوا يتطلعون إلى موارد العلم والدنية والثقافة، ولم يقتهم قط أن يستعينوا بعلم هذه الطبقات الراقية التي خضعت لسلطانهم، ودخلت في حوزتهم، وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نجمل العوامل الرئيسية التي عملت في تنشئة الفكر العربي وإعداده إعداداً علمياً صحيحاً لتلقي الحضارة في خمسة عوامل هامة وهي[1]:

أولا — النساطرة، وقد استعان هؤلاء على نشر أفكارهم في بلاد العرب بتعاليم منتزعة من الفلسفة اليونانية حتى لقد كان كل نسطوري بحكم الضرورة معلماً في الفلسفة اليونانية، وهم إلى جانب ذلك أول مدرسة تهذب فيها الفكر العربي باحتكاكه بالثقافة اليونانية، وأول من خدم الطب في العصور الأولى.

ثانياً — اليعاقبة، وإليهم يرجع الفضل الأول في إدخال الأفلاطونية الجديدة، ومذهب الباطنية في جو الثقافة العربية.

ثالثاً — الزرادشتيون في بلاد فارس، وأهم مدارسهم هي مدرسة جنديسابور التي أسسها «كسرى أنو شروان» وكانت تضم طائفة من العلماء الذين شردهم الإمبراطور «يوستيانوس» حين أمر بإغلاق جميع المدارس والهياكل في أثينا. وكانت تدرس في هذه المدرسة الكتب اليونانية والسريانية والفلسفة الهندية وآدابها وعلومها، وفي هذه المدرسة أيضاً ازدهر الطب ونما إذ تخلص من ضغط الكنيسة، وتحرر من قيود العلوم اللاهوتية. واشتهر في هذه المدرسة قبل الإسلام الحارث بن كلدة الطبيب المشهور، وابنه النضر، وقد ذكره ابن سينا مع الذين هزموا يوم بدر، ثم أسرو وقتله علي بن أبي طالب صبراً.[1]

رابعاً — مدرسة حران الوثنية، ولسنا نعرف مؤسس هذه المدرسة ولا كيفية نشأتها، والذي وصلنا إلينا عن حران هو أنها كانت مثابة لتعاليم الديانة اليونانية القديمة بعد أن طغت عليها المسيحية في العالم اليوناني. والراجح أن حران قد ورثت كثيراً من تعاليم الديانة البابلية القديمة، وأن هذه المدرسة أيضاً قد كانت متأثرة إلى حد بعيد بتعاليم الأفلاطونية الجديدة كما وصفها «فرفوريوس الصوري».

خامساً — العبرانيون، وأهم مدارسهم في صور، وبامباديثا وكانت عاكفة على درس شرائعهم التقليدية، ولئن ورث العبرانيون عن النساطرة نزعة إلى علم الطب إلا أنهم لم يتفقوا عليهم قط، وقد ذكر «لكلارك» في كتابه تاريخ الطب عند العرب في القرن العاشر ٢٩ طبيباً مسيحياً، على حين لم يذكر سوى ثلاثة من أطباء اليهود وأربعة من وثني حران.

وإلى جانب هذه العوامل الرئيسية التي استمد منها الفكر العربي أسلوب دارسة الحضارتين القديمتين، اليونانية والرومانية، فقد كانت هناك مراكز هامة أخرى للثقافة اليونانية. فقد ذكر «ديبل» أنه كان في كل من أنطاكية، والرها، ونصيبين — وذكر أيضاً حران — إبان الفتح الإسلامي مدارس راقية أحسن أساتذتها فهم الثقافة الإغريقية، وفلسفة أرسطو، والعلوم والطب المعروفة عند القدماء. وقال أيضاً: «إن خلفاء بني أمية كانوا يرجعون إلى هؤلاء الأساتذة ليستعينوا بهم على نقل أهم كتب اليونان والبيزنطيين العلمية والأدبية إلى السريانية والعربية[2]».

العرب والترجمة:

بعد أن تثقف العرب على يد هؤلاء الأساتذة وجهوا همهم

(١) تاريخ الفكر العربي لاسماعيل مظهر.

(١) زهر الآداب ص ٢٧ ج ١ — لأبي إسحق الحصري القيرواني

(٢) Diehl yzuvee

إلى دراسة الحضارتين : اليونانية والرومانية دراسة مستقلة ، واستخراج أهم روائعهما التي قد تفيدهم في بناء حضارتهم . فعكفوا على دراسة المؤلفات القديمة ، واجتهدوا في تفهمها وشرحها ثم علقوا عليها ذيولا ضافية ، ظهر فيها طابع العبقرية الاسلامية ، وعدلوا فيها ونقدوها ، وزادوا من عندهم أشياء جديدة ؛ وكان لهم نظر صائب في إمازة الغث من السمين ، والوضع من الأصل . ومن الذين اشتهروا في ميدان الترجمة كان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان[١] المعروف بحكيم آل مروان ، فقد ترجم كثيراً من كتب الفلاسفة ، ولا سيما كتب علوم الطب والنجوم والكيمياء والآلات ، والصناعات من اللسان اليوناني والقبطي والسرياني « وكانت الترجمة أحيانا من اليونانية إلى العبرانية ، ومن العبرانية إلى السريانية » ويقال إن خالداً هذا كان أول من أنشأ دار كتب في الإسلام ، وقد أنشأها في دمشق[٢] .

وفي عهد عمر بن عبد العزيز ، ترجم كتاب الطب الذي ألفه أهرن بن أعين ، إلى اللغة العربية بأمر هذا الخليفة الصالح[٣] .

ويقسم بعضهم تاريخ الترجمة عند العرب إلى قسمين : أما الأول فيبتدىء من ١٣٢ هـ — ١٩٨ هـ أي منذ بداية خلافة السفاح إلى خاتمة عصر الأمين ، وفي هذا العصر ظهرت العبقرية العربية واضحة جلية . لا سيما في الكتب التي ترجمها عبد الله ابن المقفع إلى العربية .

العصر المأموني :

أما القسم الثاني من تاريخ الترجمة عند العرب فيبتدىء بتسنم المأمون ذروة الخلافة ويعرف بالعصر المأموني ، ويضاهي هذا العصر في تاريخ الحضارة العربية ، بتقدم العلوم فيه وازدهارها ، عصر بركليس في أثينا . وأهم ما يمتاز به هو إنشاء بيت الحكمة التي أقامها الخليفة المأمون في بغداد ، فجمعت في خزائنها أشهر الكتب العلمية القديمة ، وضمت بين جدرانها كبار المشتغلين بالعلوم والفلسفة والنقل . وكان يتولى الهيمنة على إدارة دار الكتب

(١) خطط الشام ج ٤ ص ٢٠ لمحمد كرد علي .
(٢) الاسلام والحضارة العربية ج ١ ص ١٦٤ .
(٣) تاريخ دمشق : لابن عساكر .

هذه الوزير المعروف ، سهل بن هارون ، وجاء في بعض الروايات[١] أن يحيى بن أبي منصور الموصلي المنجم المعروف ، ومحمد بن موسى الخوارزمي صاحب الأزياج المشهورة والمصور الأرضي البديع الصنع ، كانا من خزنة بيت الحكمة المأموني . وكان علان الشعوبي ، والفضل بن نوبخت ، وأولاد شاكر من الذين يترددون على هذه الدار إما للمطالعة ، أو للنسخ والترجمة والتأليف .

وفي هذا الدور أيضاً بعث المأمون إلى حاكم صقلية المسيحي يأمره بأن يرسل إليه جميع الكتب العلمية والفلسفية الموجودة في مكتبة صقلية الشهيرة ، فتردد هذا في إرسالها ، وضن بها كل الضن ، ولما ألح عليه الخليفة في الطلب جمع كبار رجالات الدولة واستشارهم في الأمر ، فأشار عليه المطران الأكبر بقوله « إرسلها إليه فوالله ما دخلت هذه العلوم في أمة إلا أفسدتها » فعمل الحاكم بمشورته ، وهي إن دلت على شيء فلا تدل إلا على مقدار كراهية رجال الاكليروس للعلم ، ونفورهم من ظل العلماء .

وفي هذا الدور أيضاً جمع المأمون بعض حكماء عصره ، على صنعة الصورة التي نسبت إليه ودعيت بالصورة المأمونية[٢] صوروا فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره ، وعامره وغامره ، ومساكن الأمم والمدن إلى غير ذلك ، وهي أحسن مما تقدمها من جغرافية بطليموس ، وجغرافية مارينوس . وقد وضع له علماء رسم الأرض — وكانوا على ما يرويه الزهري سبعين رجلا من فلاسفة العراق ، كتاباً في الجغرافية أعان عمال الدولة على التعرف إلى البلاد التي أظلتها الراية العباسية ، هذا إلى عنايته بالفلك ، وفلكيه الفزاري أول من استعمل الاسطرلاب من العرب ، وعني بالطبيعة والرياضيات فوق عنايته بالطب ومعرفة العقاقير والنبات والحيوان ، وفتح المأمون باب العقل والتفكير الحر على مصراعيه في جميع البحوث .

وفي عصر المأمون أيضاً تأسست أول مدرسة للترجمة في العالم العربي ، وكانت تتألف من حنين بن إسحق ، وابنه إسحق بن حنين ، وابن أخته حبيش الأعسم الدمشقي وغيرهم . وقد أسس

(١) عصر المأمون ج١ ص ٣٧٥ للدكتور أحمد فريد الرفاعي .
(٢) خطط الشام والاسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٢١٣ لمحمد كرد علي وعصر المأمون ج ١ ص ٣٢٦ .

المأمون هذه المدرسة فى بغداد ، فقامت خير قيام بنقل جميع المتون اليونانية المشهورة إلى اللسان العربى ، وكانت هذه المدرسة أيضاً تشرف على إصلاح جميع ماينقله الغير إلى اللسان العربى[1] .

ومن الكتب التى ترجمها وعلق عليها حنين بن إسحق بأمر الخليفة المأمون : كتاب الإيساغوجى لفرفوريوس وارمانوطيقا لأرسطاطاليس ، وجزءاً من الأنالوطيقا وجزءاً من الميتافيزيقا ، وتلخيصات نقولاوس الدمشقى وتعليقات الاسكندر الأفروديسى والجزء الأعظم من مؤلفات جالينوس ، وديوسقورس وبولس الأجانيطى ، وأبقراط .

ويروى أن المأمون كان يعطيه من الذهب[2] زنة ما ينقله من الكتب إلى العربية مثلا بمثل . وقال أبو سليمان المنطق إن بنى شاكر ، وهم محمد وأحمد والحسن كانوا يرزقون جماعة من النقلة : منهم حنين بن إسحق ، وثابت بن أبى قرة وغيرهم فى الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة .

وكان يتمتع حنين بن إسحق بمكانة[3] سامية عند خلفاء بنى العباس ، إذ أحلوه منزلة سامية من الاجلال والاحترام ، وكان أبوه صيدلياً فى جند يسابور[4] ، وتفقه فى بغداد جبرائيل ابن بختيشوع واشتهر فى زمن المأمون وعاش إلى زمان المتوكل .

وقد ترجم ابنه إسحق بن حنين مقالة أرسطوطاليس فى الروح (De Anima) ، وقد علق عليها فيما بعد الافروديسى ، وتعد هذه الترجمة النادرة اليوم من أهم المراجع لدرس الفلسفة فى عصرنا الحاضر ، ويعلل الأديب الأستاذ إسماعيل مظهر هذه الظاهرة باتجاه الفكر فى الأزمنة الحديثة إلى درس البسيكولوجيا وابتعاده عن درس المنطق .

يقول القاضى صاعد بن أحمد الأندلسى : « ... ثم لما أفضت الخلافة فيهم إلى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد تمم ما بدأ به جده المنصور ، فأقبل على طلب العلم فى مواضعه ، وداخل ملوك الروم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطوطاليس ، وأبقراط وجالينوس وأوقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة فاستجاد لها مهرة التراجمة ، وكلفهم إحكام ترجمتها . فترجمت له على غاية ما أمكن ، ثم حض الناس على قراءتها ، ورغبهم فى تعليمها ، وكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرهم ويلتذ بمذاكرتهم علماً منه بأن أهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده ؛ وأنهم صرفوا عنايتهم إلى نيل فضائل النفس الناطقة وزهدوا فيما يرغب فيه الصين والترك ومن نزع منزعهم من التنافس فى دقة الصناعة العملية والتباهى بأخلاق النفس ، والتفاخر بالقوى إذ علموا أن البهائم تشركهم فيها ، وتفضلهم فى كثير منها ، فلهذا السبب كان أهل العلم فى كل زمان هم مصابيح الدجى ، وسادة البشر ، وأوحشت الدنيا لفقدهم » .

وقد بلغ من اهتمام المأمون بالعلوم وحثه على طلبها أن أصبح يضرب به المثل فى عظم الحركة العلمية ، حتى لقد مثله « نولدكه » بأنوشروان وغيره من رسل الثقافة العامة .

يقول الدكتور طوطح فى رسالته الانجليزية عن حالة التعليم عند العرب : « إنه بينا كان شارلمان يتعلم القراءة مكباً على مطالعة رسائله مع أترابه فى مدرسة القصر كان المأمون يعالج الفلسفة ومناقشة اقضيتها هناك فى بغداد » . وقال إن المأمون أوفد عميد بيت الحكمة إلى بلاد اليونان لنقل حكمة اليونان وعلوم اليونان إلى اللغة العربية[1] .

على أنه ليس فى وسعنا أن نصور عصر المأمون الذهبى فى مثل هذه الكلمة العجلى ، وحسبنا أن نختم الكلام فيه بعبارة السير وليام موير[2] الموجزة البليغة إذ يقول : لقد كان المأمون عاملا من عوامل النهضة العلمية ، على حين كان الملوك المعاصرون له فى أوربا فى الدرك الأسفل من الجهالة ، ولقد كان عصره يحاكى عصر بركليس فى أثينا من جميع الوجوه .

الجامعات العربية :

وقد أنشأ العرب فى فتوحهم عدة جامعات كبرى ، وكانت جامعاتهم فى البصرة والكوفة وبغداد والقاهرة وقرطبة وبلرم وسالرنو وأشبيلية تنص بالعلماء والمتعلمين الذين كانوا يقصدونها من أقصى أطراف العالم الغربى الأوروبى ، وفى عهد الخليفتين : عبد الرحمن الثالث والحكم بن عبد الرحمن ، بلغت مدارس قرطبة وحدها سبعاً وعشرين مدرسة[3] ، وكان فيها إلى جانب هذه

(١) تاريخ الفكر العربى ص ٢٣
(٢) عصر المأمون ج ١
(٣) تاريخ الفكر العربى
(٤) أخبار الحكماء ص ٢٤٨

(١) عصر المأمون ج ١ ص ٣٩٤
(٢) Coliphates, by Sir. W. Muir
(٣) Onrliel of history, H. G. Wells :

المدارس أيضاً مكتبة حافلة يقال إنها حوت خمسمائة ألف مجلد .

يقول دوزى[١] لم يكن فى كل الأندلس أمىٌّ واحد يوم لم يكن فى أوروبا من يلم بالقراءة والكتابة إلا الطبقة العليا من القسوس ، وكان العلماء والأدباء والفلاسفة فيها يختلفون إلى مختلف المجامع — كالمجامع العلمية اليوم — للتفاهم والمناظرة .

وقد كان طلبة العلم من مسيحيى أوربا يفدون أفواجاً على جامعة قرطبة لتلق العلم فيها ، وعن طريق هذه الجامعة الشهيرة انتقلت الفلسفة العربية إلى مختلف أقطار أوربا وظهر أثرها واضحاً بليغاً فى جامعات باريس واكسفورد ، وإيطاليا الشمالية وسائر أقطار أوربا الغربية[٢] ومن الذين تأثرت الحركة الفكرية فى أوربا ببحوثهم ؛ كان أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد مولود قرطبة ؛ فقد ألف هذا العبقرى الفذ فى الفلسفة الطبيعية وفى المادة والقوة ، وقدم العالم ، والطب والرياضات والفلك ؛ وعدل تعاليم الفيلسوف أرسطاطاليس الفلسفية وفصل بها بين اللاهوت والعلم فحسبه قومه كافراً ونبذه بعضهم ولكن « لاوى بن جرسون » ترجم كتاباته إلى اللاتينية وشاركه فى ذلك ابن تربون فوصلت كتابات ابن رشد الفيلسوف العربى إلى العالم اللاتينى سنة ١٢٥٠ فاستند إليها الطبيعيون ، والعلماء ، والفلاسفة ، والاشترا كيون واعتمدها دانس سكوتش كما اعتمد أرسطو ؛ وحتى قال بعض علماء الغرب . إنما ابن رشد كان خميرة أوربا ، وقد رسخت قدمه فى جامعات شمالى إيطاليا ثلاثمائة عام ، ومن أتباعه بطرس أبو تسيس وجون جندن وأوربانس فى بولونيا ، وبولس فى فينيسيا سنة ١٤٢٨ م ، وكاجاتانوس النيسيسى حتى أن الفيلسوفة السيدة كسندرا فيدال دافعت عن ابن رشد[٣] ، وقد تسربت فلسفته أيضاً إلى جامعتى بولونيا وبدوى[٤] .

ومن مشهورى العرب والإسلام الذين نبغوا فى هذه المدارس أيضاً نذكر الطبيب ابن سيناء ، والفيلسوف الفارابى ، وابن باجه ، وسنعود لدراستهم فى غير هذا الصدد وفى غير هذا المكان .

(يتبع) **خليل جمعة الطوال**

(١) Dozy ; Hist.des Mus . d Espauge
(٢) تاريخ المسلمين فى أسبانيا : لدوزى و . مختصر التاريخ ولز .
(٣) ا ـ المستشرقون . ب ـ بحث لجيلر .
(٤) فلسفة ابن رشد و . دائرة المعارف البريطانية

بعـــد الوداع . . . !

للأستاذ محمد عبد الرحيم إدريس

بعد ذاكَ الوداع سرتُ وحيداً … أذرَعُ الأرضَ مستهاماً شريدا
يا لبؤس الوَداع يُطلقُ فى القلـــب اضطراباً وفى الخُطى تقييدا
يا لتلك الكأس المريرة أحسُو … ها برغمى وأنثنى عربيدا !
يا لسخر الأقدار عند وداعى … تسأل القلب أين يمضى وحيدا ؟!
وتعــدُّ الديّارَ لى وكأنى … سألاقى بها حبيباً جديداً
كلُّ دار تزور عنى وتنأى … أىُّ دار تضمُّ هذا الطريدا ؟
كلُّ دارٍ ما لم تكن أنت فيها … طللٌ يسقم الفؤاد العميدا
كل دار تضيَّفتنى وحيدا … أطعمتنى الأشجان والتسهيدا

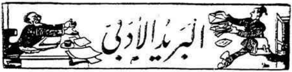
* * *

يا رياح الشتاء هذا شراعى … قد تراءى على يديك شهيدا
أبعديه عن كلِّ شطِّ عزاءٍ … واقذفيه باليأس جهماً عنيدا
أسلميه إلى العباب الدَوِىّ … واطرَحيه عن الحياة بعيدا
أمطريه أسًى وظلمة ليلٍ … وهَبيه صواعقاً ورعودا
أو دعيه يمضى إلى الهمّ طوعاً … إنه عن صخوره لن يحيدا
واحملى للفناء قلــبى وصبّى
فوق هذا الصبا الوريف الوعيدا
وابعدى عن فمى كُئُوس دموعى
فلقــد أرتوى وأمضِى سعيدا !

* * *

بعد هذا النوى دفنتُ بنفسى … أملاً كنتُ أشتهى أن أرودا
كنتُ أرجو أن لافراق على الدهــر بغير الردى عبوساً مريدا
كنت أرجو حتى غلابَ المنيّا … تِ بذكرى تُضفى علينا الخُلودا
غير أنى أرى سراب الأمانى … ثمناً للفراقِ كان زهيدا !

(الأسكندرية) **محمد عبد الرحيم إدريس**



جوائز فؤاد الأول وفاروق الأول :

صدر مرسوم ملكي بإنشاء جوائز فؤاد الأول وجوائز فاروق الأول ، وهذا نصه بعد الديباجة :

١ — تنشأ ثلاث جوائز سنوية تسمى جوائز فؤاد الأول ، وتكون كل منها ١٠٠٠ جنيه مصرى ، وتمنح لصاحب أحسن عمل أو إنتاج في الآداب والقانون والعلوم

٢ — تنشأ ثلاث جوائز سنوية تسمى جوائز فاروق الأول قيمة كل منها ١٠٠٠جنيه مصرى تمنحها وزارة المعارف العمومية لصاحب أحسن عمل أو إنتاج فى فرع من الفروع الرئيسية للعلوم

٣ — يكون منح الجوائز المنصوص عليها فى المادتين الأولى والثانية وفقاً للشروط الملحقة بهذا المرسوم

٤ — على وزير المعارف العمومية تنفيذ هذا المرسوم الذى يعمل به من تاريخ نشره فى الجريدة الرسمية

شروط منح الجوائز

وورد فى اللحق المشار إليه فى المرسوم عن شروط منح هذه الجوائز أنها تمنح سنوياً للمصريين عن إنتاجهم فى الموضوعات الآتية : الآداب ، القانون ، العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية ، علوم الحياة (البيولوجيا) ، العلوم الكيميائية ، العلوم الجيولوجية .

وتشمل جائزة الآداب : الآداب البحتة مثل الأدب القصصى الأدب التصويرى ، الأدب الاجتماعى ، الشعر ، البحوث الأدبية (النقد ، البحوث اللغوية ، الدراسات الإسلامية الأدبية)والتاريخ والجغرافيا ، والفلسفة والآثار .

وتشمل جائزة القانون : القانون الخاص ، ويشمل القانون المدنى والقانون التجارى وأوضاع التقاضى ، والعلوم الجنائية ، وتشمل القانون الجنائى والإجراءات الجنائية وعلم الإجرام . والقانون العام ، ويشمل القانون الإدارى والقانون الدستورى والقانون الدولى . وتشمل جوائز العلوم: العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية مثل علم الطبيعة التجريبى وعلم الطبيعة النظرى والعلوم الإحصائية وعلم طبيعة الأجرام السماوية (الاسترفيزيقا) والهيدروليكا والميكانيكا والكهرباء وعلوم الحياة مثل النبات والحيوان والفسيولوجيا والطفيليات والتشريح البشرى والحيوانى والطب وفروعه والأحياء المائية والعلوم الكيميائية مثل الكيمياء العضوية وغير العضوية والكيمياء الحيوية والتغذية ، والعلوم الجيولوجية وتشمل علم الطبيعيات الأرضية (الجيوفيزيقا) .

وتؤلف لهذه الجوائز لجنة دائمة مكونة من وزير المعارف رئيساً ، وستة أعضاء يمثلون الفروع المختلفة ، ويكون تعيينهم بمرسوم ، ومدة عضويتهم ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

وتختار اللجنة الدائمة فى كل عام لجاناً لفحص الإنتاج المقدم فى كل مادة ، ويجوز أن يختار لهذه اللجان بعض أعضاء اللجنة الدائمة ، ويكون تعيين أعضاء هذه اللجان بقرار يصدر من وزير المعارف ، ويمنح أعضاء لجان الفحص مكافآت يحددها وزير المعارف . هذا ، ويعلن سنوياً عن مسابقة فى كل من المواد الست المذكورة فى البند الأول ، ويخصص لكل منها جائزة مقدارها ١٠٠٠ جنيه مصرى ، وللمؤلف أن يتقدم بإنتاجه إلى المسابقة بنفسه ، أو أن تتقدم به بعض الجهات أو الهيئات العلمية والأدبية ، ومع هذا فيصح للجنة الدائمة المنصوص عنها فى البند الخامس أن تدخل فى المسابقة من تلقاء نفسها التآليف التى ترى أنها جديرة بالنظر ، ولو لم يتقدم بها المؤلف ، أو من يقوم مقامه .

وتحدد اللجنة الدائمة فى كل عام فرعاً أو أكثر من الآداب والقانون والعلوم تخصص للانتاج فيها جوائز العام ، وتعلن عن ذلك قبل الموعد المحدد لتقديم المؤلفات بستة شهور على الأقل .

ويشترط فى الإنتاج الذى يقدم فى المسابقة فى كل عام ما يأتى :

أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار ، وتهدف خاصة إلى ما يفيد مصر والإنتاج القومى

وأن يكون قد سبق نشره ولم يمض على نشره لأول مرة أكثر من خمس سنوات من تاريخ الإعلان

وأن يكون باللغة العربية الفصحى .

ولا يجوز التقدم من جديد بإنتاج سبق تقديمه .

ويقدم الإنتاج لنيل جوائز فؤاد الأول قبل اليوم الأول من شهر يناير من كل عام .

ولنيل جوائز فاروق الأول قبل اليوم الأول من شهر أكتوبر من كل عام .

وتمنح الجائزة كاملة لأحسن إنتاج يقدم في موضوع المسابقة . ومع ذلك فيجوز — إذا رأت اللجنة أن إنتاجين متقاربين ولا يمتاز أحدهما عن الآخر امتيازاً ظاهراً — أن تقسم الجائزة بينهما بالتساوي ، ولا يجوز بحال من الأحوال أن تقسم الجائزة إلى أكثر من ذلك .

ويجوز للجنة أن توصي بأن يوفد إلى الخارج على نفقة الدولة من يدل إنتاجه على امتياز ظاهر ، سواء ممن نالوا الجوائز أو لم ينالوها ، وذلك تمكيناً له من الاتصال بالمعاهد العلمية أو الهيئات العالمية لاستكمال البحث أو الاستزادة منه .

وإذا لم تمنح الجائزة المقررة للمسابقة في مادة من المواد في عام ما استبقيت إلى العام الذي يليه . وفي هذه الحالة يعلن عن المسابقة في الفرع الذي خصصت له جائزة العام مع الفرع الآخر .

ويجوز أن يتقدم شخص واحد بأكثر من إنتاج في سنة واحدة .

هذا ، ويحدد وزير المعارف الفروع التي تخصص للإنتاج فيها جوائز سنة ١٩٤٧ ، ويحدد موعد الإعلان عنها وموعد تقديم الإنتاج .

أبو شأس الشاعر :

نقل الأديب شكري محمود أحمد (في عدد الرسالة ٦٨٨) بضع مقطوعات من شعر أبي شأس ، من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، والديارات للشابشتي ، ووجد بعضها أيضاً منسوباً إلى أبي نواس في ديوانه ، فتسرع الأديب شكري وادعى أن أبا شأس هذا هو أبو نواس نفسه ، وأن الناسخ صحف هذا الإسم « أبا نواس » فصيره « أبا شاس » ، وإن ابن فضل الله العمري ، وأحمد زكي باشا ، وحبيب الزيات ، لم يفطنوا لهذا التصحيف ، وقال إنه لم يعثر له على ذكر في أي مصدر آخر .

ولو رجع الأديب إلى مظان أسماء الشعراء لتحقق أن هناك شعراء يكنون بأبي شأس ، منهم أبو شأس التيمي ، وأبو شأس الطبري ، المذكوران في (معجم الشعراء للمرزباني) المطبوع بالقاهرة .

وهنالك شعراء يتسمون بشأس ، منهم شأس بن نهار بن الأسود بن عبد القيس ، وهو الممزق العبدي الشاعر المشهور ؛ على ما في تاج العروس شرح القاموس ، وقد ذكره الآمدي في كتابه (المؤتلف والمختلف) المطبوع مع (معجم الشعراء) ، وأورد له شعراً .

وأما نسبة بعض الأبيات إلى أبي نواس أيضاً ، فهذا يقع كثيراً ، فكم من شعر لشعراء مشهورين مفيقين[1] نراه منسوباً إلى غيرهم تعمداً أو خطأ .

زكي الحافظ القيومي

الإمام الواعظ أحمد الغزالي :

نشر الأستاذ علي سامي النشار مدرس الفلسفة بجامعة فاروق بحثاً قيما عن أحمد الغزالي في مجلة الأزهر جزء ٣ مجلد ١٤ — وقد صرح في آخره بعدم عثوره على مؤلف له بقوله : « وليس بين أيدينا أيضاً كتب لأحمد الغزالي لتبين لنا عقيدته ... »

وإني قد عثرت أخيراً على مؤلف صغير الحجم للإمام المذكور — ضمن مجموعة لأبي حامد — يسمى « كتاب التجريد في كلمة التوحيد » يحتوي على فصول صغيرة غير مرقومة ، وكلها شروح وتعليقات على كلمة التوحيد — لا إله إلا الله — وتمتاز هذه الفصول على تنوعها بغلبة الوعظ عليها ، ومزجها بالكتاب الكريم والسنة النبوية والحكم المأثورة .

وهي تدل على تبحر الشيخ وعلو كعبه . إذ أن في هذه الفصول تحقيقات صوفية وخواطر ربانية وأسرارا روحية !

ولعل في نقل فقرات من فصول هذا الكتاب ما ينير الطريق لمن يريد البحث عن عقيدة الإمام . جاء في مقدمة كتابه : قال الشيخ الأجل جمال الإسلام أحمد بن محمد بن محمد الغزالي

(١) شاعر مفيق : مفلق على ما في القاموس المحيط وغيره .

رحمة الله عليه فى الحديث الصحيح والنقل الوارد الصحيح عن سيد البشر محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم قال ذلك خبراً عن الله تعالى: لا إله إلا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى. قال الشيخ الإمام رحمة الله عليه لا إله إلا الله هى الحصن الأكبر وهى علم التوحيد ؛ من تحصن بحصنها فقد حصل سعادة الأبد ونعيم السرمد ، ومن تخلف عن التحصن بها فقد حصل شقاوة الأبد وعذاب السرمد . ومهما تكن هذه الكلمة حصناً دائراً على دائرة قلبك وروحها نقطة تلك الدائرة وسلطانها حارساً يمنع نفسك وهواك وشيطانك من الدخول إلى تلك النقطة فأنت خارج الحصن ومجرد قولك لا يزن مثقال ذرة ، ولا يعدل جناح بعوضة . فانظر ما هو نصيبك من هذه الكلمة فإن كان نصيبك روحها ومعناها « أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » وهو نصيب سيد الخلائق محمد صلى الله عليه وسلم ومائة ألف نبى ونيف وعشرين ألف نبى فقد حزت ذخر الكونين وفزت بسعادة الدارين ... الخ.

وفى الفصل الثالث : إذا قلت لا إله إلا الله إن كان مسكنها منك اللسان لاثمرة لها فى القلب فأنت منافق ، وإن كان مسكنها منك القلب فأنت مؤمن ، وإن كان مسكنها منك الروح فأنت عاشق ، وإن كان مسكنها منك السر فأنت مكاشف . فالإيمان الأول إيمان العوام والثانى إيمان الخواص والثالث إيمان خواص الخواص ... الخ .

وفى الفصل الحادى عشر : افتح بصر بصيرتك فإنه ليس فى الوجود شىء إلا وهو يقول لا إله إلا الله « وإن من شىء إلا يسبح بحمده » الآية « يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض » يدل بوجوده على موجده وبخلقه على خالقه ...

وفى الفصل الخامس عشر : اجعل رأس مال بضاعتك التوحيد ، وملاذ أمرك التجريد ، واجعل غناك افتقارك وعزك انكسارك ، وذكرك شعارك ، ومحبتك دثارك ، وتقواك إزارك فإن كنت مفتقراً إلى زاد وراحلة وخفير فاجعل زادك الافتقار ، ومطيتك الانكسار ، وخفيرك الأذكار ، وأنيسك المحبة ومقصد سفرك القربة . فإن ربحت فقد ربحت ... الخ .

وفى الفصل السابع عشر : متى تتنبه من سنة غفلتك ، وتصحو من خمار سكرتك ؛ فتفهم ما تذكر وتعلم ما تقول ، أمرت بالفهم ثم بالذكر ، وأمرت بالعلم ثم بالقول فإن لم تعلم لا تقل وما لم تفهم لا تذكر . إذا قلت لا إله إلا الله وأنت غافل القلب غائب الفهم ساهى السر فلست بذاكر « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » إذا ذكرته فلتكن كلك قلباً ، وإذا نطقت به فلتكن كلك لساناً ، وإذا سمعت فلتكن كلك سمعاً ؛ وإلا فأنت تضرب فى حديد بارد :

إذا ذكرتك كاد الشوق يقتلنى ... وغفلتى عنك أحزان وأوجاع
فصار كلى قلوبا فيك واعية ... للسقم فيها وللآلام إسراع

وفى الفصل السادس والعشرين : اعلم أن شجرة لا إله إلا الله شجرة السعادة فإن غرستها فى منبت التصديق وسقيتها من ماء الإخلاص وراعيتها بالعمل الصالح رسخت عروقها وثبت ساقها واخضرت أوراقها ، وأينعت ثمارها ، وتضاعف أكلها ... الخ .

وفى الفصل الثلاثين : أعرف عبدى ؛ خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلى فاشتغلت بالنعمة عن النعم وبالعطاء عن المعطى . فما أديت شكر نعمته ولا راعيت حرمة عطائه ، كل نعمة شغلتك عنى فهى نقمة ، وكل عطية ألهتك عنى فهى بلية ... الخ .

وفى الفصل الحادى والثلاثين : عبدى أنا الذى أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد ؛ أعطى لا لباعث ، وأمنع لا لحادث ، وأسعد لا لعلة ، وأخلق لا لقلة ، وأبتلى بالشكر لا لحاجة ، وقد خلت الأحدية وتقدست الصمدية عن البواعث والعلل ، لو كانت الإرادة هى عن باعث لكان محمولا ، ولو كانت عن حادث لكان معلولا وليس بمحمول ولا معلول ؛ بل خالق البواعث والعلل « لايسأل عما يفعل وهم يسألون » .

وفى الفصل الثانى والثلاثين : عبدى ليس فى الوجود إلا أنا فلا تشتغل إلا بى ولا تقبل إلا علىّ إن حصلت لك فقد حصل كل شىء وإن فتك فقد فات كل شىء ... الخ .

على أن عقيدة الشيخ الواعظ فياحة كالعطر ؛ شذاها فى ثنايا كتابه الصغير ، ويؤيد هذا قول الأستاذ إنه تبحر فى علوم الشريعة ثم دخل طريق القوم عن دراية ؛ وقد عهد إليه أخوه بالتدريس فى النظامية ؛ كما يدل على سمو رتبته فى الطريق ما قاله

فى أخيه عند ما سئل[١] عنه . كل هذه دلائل على سلامة عقيدة الشيخ من كل زيغ .

وفى الحق إن هذا الواعظ الصوفى صنو أخيه ، وإن كان أقل منه شهرة . يعرف ذلك كل من سلك طريق القوم ، وكل ميسر لما خلق له !

هذه كلمة ما أردت بها إلا وجه الحق . وفقنا الله جميعاً للصواب .

(شطانوف) **محمد منصور خضر**

اللائحة الداخلية لمجلة الأزهر :

تألفت فى يوم الأربعاء ٢٤ من أبريل سنة ١٩٤٦ لجنة لوضع نظام لمجلة الأزهر برياسة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر وقررت ما يلى :

أولا — تنظيم مجلة الأزهر بحيث تصلح لحمل رسالة الجامع الأزهر والتعبير عنها أكمل تعبير .

ثانيا — أن تكون المجلة من غزارة المادة وتنوع البحوث بحيث تشغل الاتجاهات الثقافية والاصلاحية للجامع الأزهر .

ثالثا — أن يكون لها ملحق يكتب بلغة أجنبية فى موضوع يهم من لا يعرف العربية من المسلمين وغيرهم أو يشتمل على طبعة مستقلة لبعض المخطوطات العربية القيمة أو لما يظهر فى المجلة من بحوث .

رابعا — أن تظهر المجلة فى نحو مائة صفحة فى أول كل شهر عربى ماعدا شهرى الحر الشديد ، وتكون سنتها عشرة أشهر .

ورأت اللجنة أن تحدد أغراض المجلة والموضوعات التى تنشر فيها على النحو التالى :

أغراض المجلة هى : الدفاع عن الاسلام وبيان فضائله والتعبير عن مساهمة الأزهر فى العناية بالدراسات الاسلامية عناية إنشائية وتكون حلقة اتصال بين الأزهر وسائر الجامعات والمعاهد العلمية من جهة ، وبين الأزهر والرأى العام المثقف من جهة أخرى ، وتكون أداة تعليم للأزهريين وأداة توجيه دينى وإصلاحى للمسلمين.

(١) قيل لأحمد : أين أبو حامد ؟ قال فى الدم ، وذكر ذلك لأبى حامد فقال : صدق . كنت أفتكر فى مسألة من مسائل المستحاضة .



التجـــربة . . .

للأستاذ نجـــاتي صدقي

رآها تسير في بوليفار غامبيتا بباريس ، ويرافقها رجل سمين مترهل يكبرها بعشرين حولا على وجه التقريب ، فظنها ابنته ... ومما عزز فيه هذا الظن أن الرجل كان يسير إلى جانبها بخطوات آلية متئدة ... في حين أن الفتاة كانت كتلة من النشاط والحيوية ... تسير وكأنها تقوم بحركات من الرقص الإيقاعي ... وكان الهواء يعبث بشعرها الذهبي فيتطاير ألسنة هي أشبه بألسنة اللهيب ... أما عيناها المتقدتان فكانتا لا تفتآن تتطلعان هنا وهناك .

ولما وقع نظرها عليه ابتسمت له ، وظلت تتطلع فيه حتى صار خلفها ، ثم أدارت رأسها نحوه ثلاث مرات ... أما هو فقد آنسته عنايتها هذه به ، فتتبع أثرها إلى أن ولجت مع الرجل فندقاً صغيراً ، ويبدو أن الفتاة أحست أن الفتى قد اقتفى أثرها مستجيباً لندائها ، فالتفتت إلى الوراء وهي تعبر عتبة الفندق وأومأت له برأسها ، فأدرك بأن عليه أن ينتظر .

وبعد عشر دقائق نفرت الفتاة من الفندق ، فاقترب منها الفتى ، وصافحها كما لو أنه ربي وإياها ... وصافحته هي كما لو أنه عزيز على قلبها كان غائباً فأتى ... وسارا جنباً إلى جنب ... ثم بادرها الكلام بقوله :

— أظن أنكما لستما من باريس ؟

— كلا ، نحن من النورماندي .

— ويلوح لي أنه والدك ... أليس كذلك ؟

— كلا إنه زوجي ...

— ماذا ... زوجك ؟ ... أنت فتاة يانعة يافعة وهو رجل يكبرك جداً ، وسمين ، ومترهل ، وعديم الحيوية ، فكيف قبلت به بعلا لك ؟

— كنت جاهلة ولم أفقه معنى الزواج فوقعت في أحبولة ، وزوجت به ... والآن أفقت إلى نفسي ... فرأيت أنني في واد ، وفتى أحلامي في واد آخر .

— ولم أتيتما إلى باريس ؟

— لأنني أردت المجيء إلى مدينة النور هذه ، مدينة اللهو والحب الأعمى ، فطالما طالعت في الصحف الباريزية إعلانات وأخباراً مثيرة ، فصممت على أن آتي إلى باريس بأية وسيلة كانت لأمتع نفسي بملاذها ... ولأختبر آثامها ولو في أيام قلائل ! ... فاختلقت المرض .

اعترت الفتى الدهشة من مسلك هذه الفتاة الجامحة ... ففكر في أن يردعها عن غيها ، لكن الشيطان شدد عليه الوطأة ، وزين له الإثم الذي هي تسعى إليه ... فقال لها مبتسماً : أمأذونية أنت في هذه الساعة ؟

قالت — استحصلت على إذن من زوجي لمدة أربع ساعات لأزور صديقة لي هنا ، فالساعة الآن الخامسة ، وعلى أن أعود إلى الفندق في تمام الساعة التاسعة مساء .

حملق الفتى في وجهها ، وحملقت في وجهه ، وشد على يدها وشدت على يده ، فتأبط ذراعها وسارا في « بوليفار غامبيتا » الطويل ... ثم راح يسرد لها منهاجه لاستغلال هذه الساعات المعدودات على أكمل وجه ، وقال — نذهب الآن إلى جامع باريس ، فنأكل كباباً وبقلاوة ، ثم نذهب إلى متنزه (بوتشومون) ، ثم نذهب إلى مقهى فنحتسي بعض المشروب ، ثم نزور دار السينما ... ثم نعرج على فندق لأخذ شيء ما ... ثم نعود إلى فندقك في تمام الساعة التاسعة ، أتوافقين ؟

— جداً ... جداً ... إنه لمنهج ممتع .

— يالها من أويقات عذبة سنقضيها معاً في باريس .

— هذا جل ما أتمناه ... فأنت الطبيب الذي أسمى إليه ...

— أستمكثان طويلا في عاصمة النور ؟ ...

— ثلاثة أيام فقط .

— شيء مؤسف حقاً !

— لماذا ؟

— أتسألين لماذا أبتسم؟ ... إنه ليشق على أن أفارق هذا الجمال، وهذا الصبا، بمثل هذه السرعة.

— أيهمك أمرى بعد انقضاء هذه الأيام الثلاثة؟

احتار الفتى فيما يجيب ... أيقول لها بأنه لا يهتم بأمرها، فربما تعتبر ذلك إهانة لها وتنفر منه، أم يقول لها بأن أمرها يهمه جداً، فتعتبر ذلك اطراء وترضى عليه؟ ... وبعد تردد قليل قال:

— يهمني أمرك جداً يا عزيزتي ... وثقي بأنني لن أنساك ما دمت على قيد الحياة، وسأراسلك دائماً، بل سأبذل أقصى جهدي لكي أزورك في بلدك، كوني عند حسن ظنك بي ...

وما إن سمعت الفتاة هذا الكلام حتى امتقع وجهها. وانطوت على نفسها، وهي تفكر في أمر غامض ... وكان لسان حالها يقول:

— هل ارتكاب الإثم في باريس يتطلب حباً؟ ... إنني لم آت إلى عاصمة اللهو والملذات لكي أجد لي زوجاً ثانياً ... إنني لا أود شخصاً ليراسلني ويتبعني من مكان إلى آخر ... إنني تصورت اللذة الباريسية بمثابة كأس من الخمرة يحتسى على عجل، وينتهي الأمر أما وأن هذه اللذة ستسبب لي متاعب ومراسلات ومطاردات فهذا مما لا أريده ألبتة.

ولما مرا بكنيسة في حيّ «مون مارتر» قالت الفتاة:

— أتأذن لي بالدخول إلى الكنيسة قليلا؟ ...

فانتفض الفتى، وقال — أتريدينَ الصلاة؟!.

قالت — أجل ... لخمس دقائق فقط ... انتظرني عند باب الكنيسة، كما انتظرتني عند باب الفندق.

مضت خمس دقائق، فصارت عشراً، وخمس عشرة ... فانزعج الفتى ودخل الكنيسة فرأى في طرفها الأيمن جماعة من النسوة الضالات، والرجال الضالين، وأمامهم قسيس يتلو عليهم فقرات من الاصحاح الرابع لرسالة يعقوب فيقول:

(أيها الزناة والزواني! ... أما تعلمون أن محبة العالم عداوة الله ... قاوموا إبليس فيهرب منكم ... اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم ... نقّوا أيديكم أيها الخطاة، وطهروا قلوبكم يا ذوى الرأيين، اكتئبوا ونوحوا وابكوا ... ليتحول ضحككم إلى نواح، وفرحكم إلى غم ... اتضعوا قدام الرب فيرفعكم).

اندس الفتى بين هذا الرهط من الناس باحثاً عن فتاته، إلا أنه لم ير لها أثراً ... ثم أجال نظره في أرجاء الكنيسة، فلمح أن لها باباً آخر، فاشتبه بأن الفتاة أخطأت المخرج، فلحق بها ... وإذ بلغ الباب وجد قسيساً يحاول إغلاقه فاستوقفه بلطف وقال له: عم مساء أيها الأب!

— عم مساء يابني.

— أبانا ... ألم تر فتاة خرجت من هذا الباب قبل دقائق معدودات ... وهي تلبس قبعة قش واسعة الأطراف، مطوقة بشريط أخضر ينتهي بباقة صغيرة من الورد؟ ...

فأشاح القس بوجهه عن الفتى، وقطب حاجبيه ... ثم قال:

— أهذا أنت؟ ... اذهب في سبيلك يابني ... ولا تسخر نفسك لتجارب الشيطان ... أجل ... رأيتها، واعترفتْ! ... وأغلق باب الكنيسة في وجهه ...

نجاتي صدقي

وزارة المعارف العمومية :

الجامعة الشعبية
وفروعها بالأقاليم

تنظم الجامعة الشعبية دراسات عقلية وفنية ومهنية لتكوين الشخصية وترقية الملكات ورفع المستوى الثقافي والفكري والاجتماعي وذلك عن طريق نشر ألوان الثقافة العامة بين جميع طبقات الشعب على أساس من الرغبة الشخصية دون اشتراط مؤهلات معينة .

وقد تقرر أن تفتتح الجامعة أربعة عشر مركزاً ثقافياً في الأقاليم تتبع الجامعة وتسير على نظمها ، وقريباً تفتتح مراكز ثقافية في الأسكندرية وعواصم الأقاليم .

نظام الانتساب :

حق الانتساب للجامعة أو فروعها مباح للكبار من الجنسين على السواء ممن يحسنون القراءة والكتابة .

وعند قبول الطالب يسدد رسماً قدره مائتي مليم عن كل شعبة دراسية للموسم الثقافي الواحد .

مواد الدراسة هي :

١ — الشعبة الطبية والصحية .

وتهدف إلى مكافحة الأمية الصحية .

٢ — الشعبة التاريخية :

وتهتم بدراسة تاريخ مصر الحديث وحضارتها كأساس للتربية القومية .

٣ — شعبة التجارة الاقتصادية :

وتشمل إمساك الدفاتر والرياضيات التجارية وطرق التجارة وإدارة الأعمال وأسس الاقتصاد القومي .

٤ — الشعبة الفنية :

وتشمل فنون التصوير والنحت والزخرفة والموسيقى والتمثيل .

٥ و ٦ — شعبتا الصناعات الميكانيكية والزخرفية وتشملان :

نجارة الأثاث — الزخرفة والتذهيب — النسيج — الطباعة — السجاد والكليم — معادن وصياغة — التصوير الضوئي والسينمائي — الكيميا الصناعية . البرادة — الخراطة — السيارات - ساعات — كهرباء — لاسلكي آلات — تليفونات الخ .

٧ — الشعبة السياسية القومية الدولية :

ترمي إلى نشر الثقافة السياسية المستنيرة بين الطلاب سواء في الشئون الداخلية أو الخارجية . ومبادئ القانون الدولي .

٨ — الشعبة الأدبية :

تهدف إلى رفع المستوى الأدبي بين الطلاب وتربية الذوق الأدبي السليم .

٩ — شعبة الدراسات الاجتماعية :

تهدف نحو تبصير الطلاب بالمشاكل الاجتماعية والجهود التي تبذل لعلاجها .

١٠ — الشعبة العلمية :

وتشمل دراسة العلوم الطبيعية حيث تتناول معرفة أهم الظاهر في الحياة العلمية .

١١ — الشعبة الزراعية :

تهدف نحو العناية بنشر الثقافة الزراعية بين أهل المدن وزيادة التوجيه الفني بين أهل الريف .

١٢ — الشعبة النسوية :

تشمل الطهي والخياطة والادارة والصحة والاجتماع . وتهدف إلى تزويد الفتاة أو ربة البيت بما تحتاجه من ثقافة تساعدها على النهوض بأعباء الأسرة وتكوين جيل جديد

وتفتتح فروع في الأحياء المختلفة متى توافر عدد الطالبات وذلك تيسيراً لهن في حضور الدراسات .

الدراســة :

تبدأ في أوائل أكتوبر سنة ١٩٤٦ .

الطلبات :

تقدم طلبات الانتساب للجامعة وفروعها في الأقاليم إلى إدارة الجامعة بالقاهرة بريد البرلمان للاستعلامات يومياً في الصباح من الساعة التاسعة إلى الواحدة . وبعد الظهر من الخامسة إلى التاسعة — تليفون ٤٩٢٧٤ . ٦٠١٩